البداوة في رواية «الغصن الأخضر» لعلاء الشيخ: دراسة في الأنساق الثقافية

Bedouinism in the novel "The Green Branch" by Alaa Al-Sheikh: A study in cultural systems

أ.م.د. فاضل حمد مكوار
الكلية التربوية المفتوحة / مركز المثنى الدراسي

Assistant Professor Dr. Fadhil Hamad Megwar
The Open Educational College in Al-Muthanna- Department of Arabic Language
Fadhilalqazi7272@gamil.com

الملخص:
البداوة أحد الظواهر العريقة المتجذرة في مجتمعنا العربي وما تزال آثارها قائمة حتى يومنا هذا، ولعلَّ سبب استمرارها يعود إلى البيئة الصحراوية المترامية الأطراف في بلادنا العربية التي تفرض على قاطنيها الارتحال هنا وهناك نتيجة الطبيعة القاسية التي تكتنفها. وتسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن أنساق البداوة المختلفة في رواية «الغصن الأخضر» للروائي العراقي «علاء الشيخ» بخاصة وأنَّ الكاتب تمكن من توظيف هذه الأنساق بشكل دقيق في روايته في مجالاتها القبلية الأسرية والدينية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية كونها تتآزر وتتفاعل مع بعضها في بناء وتكوين أو تهديم وكسر النسق البدوي العام؛ فضلاً عن التحولات الطارئة على شخصيات الروائية بخاصة ثنائية الحضارة والبداوة ومدى تأثيرها بما يخص الانتماء والتأقلم والتكيف مع البيئة الثقافية الجديدة الحاضنة.
الكلمات المفتاحية: البداوة، الغصن، الأخضر، علاء، الشيخ.

Abstract:
Bedouinism is one of the ancient phenomena rooted in our Arab society and

its effects still exist to this day. Perhaps the reason for its continuation is due to the vast desert environment in our Arab countries, which forces its inhabitants to move here and there as a result of the harsh nature that surrounds it. This study seeks to reveal the different Bedouin patterns in the novel "The Green Branch" by the Iraqi novelist "Alaa Al-Sheikh", especially since the writer was able to employ these patterns accurately in his novel in its tribal, familial, religious, moral, political and economic fields, as they work together and interact with each other in building and forming or demolishing and breaking the general Bedouin pattern; in addition to the transformations that occurred to the characters of the novel, especially the duality of civilization and Bedouinism and the extent of its influence with regard to belonging, adaptation and adjustment to the new cultural environment that embraces it.

Keywords: Bedouinism, branch, green, Alaa, Sheikh.

المقدمة:

البداوة أحد الظواهر العريقة المتجذرة في مجتمعنا العربي وما تزال آثارها قائمة حتى يومنا هذا، ولعلَّ سبب استمرارها يعود إلى البيئة الصحراوية المترامية الأطراف في بلادنا العربية التي تفرض على قاطنيها الارتحال هنا وهناك نتيجة الطبيعة القاسية التي تكتنفها. وتسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن أنساق البداوة المختلفة في رواية «الغصن الأخضر» للروائي العراقي «علاء الشيخ» بخاصة وأنَّ الكاتب تمكن من توظيف هذه الأنساق بشكل دقيق في روايته في مجالاتها القبلية الأسرية والدينية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية كونها تتآزر وتتفاعل مع بعضها في بناء وتكوين أو تهديم وكسر النسق البدوي العام؛ فضلاً عن التحولات الطارئة على شخصيات الروائية بخاصة ثنائية الحضارة والبداوة ومدى تأثيرها بما يخص الانتماء والتأقلم والتكيف مع البيئة الثقافية الجديدة الحاضنة.

وتوقفنا في هذه الدراسة على ما تضمنته الحكاية وما دلَّ عليه العنوان، ومن ثمَّ بينا مفهوم النسق الثقافي والعلاقات التواصلية والدلالية بينه وبين الثقافة، ومن ثم أوضحنا مفهوم نسق البداوة وكلّ ما يساهم في بنائه أو هدمه من أنساق فرعية مضمرة فاعلة ومخاتلة، بعدها قسمنا الدراسة على مبحثين، تضمن المبحث الأول- تمثلات الأنساق البدوية في الرواية بخاصة القبلي الأسري، والأخلاقي، والديني، والسياسي، والاقتصادي وكشفنا فيه عن أهم التمثلات الثقافية في عالمها والوقوف على الشخصيات وأدوارها ووظائفها السردية داخل أحداث وحوارات وصراعات الروية، أما المبحث الثاني-الصراعات والتحولات في نسق البداوة ورصدنا كل ما يتعلق بالشخصية من صراعات داخلية أو خارجية وما طرأ

عليها من تحولات نفسية واجتماعية وبيئية جغرافية، ومدى تمثل الشخصية لها.

وقد وظفنا المنهج التحليلي في الوقوف على النصوص السردية بمستواها التطبيقي، فضلاً عن مناهج نصية داخلية في المساحات التطبيقية التي تتطلب حضورها، وقبل هذه العنوانات كان لنا ملخص باللغتين العربية والإنجليزية، وفي نهاية الدراسة أوجزنا النتائج التي توصلنا إليها، ومن ثم وضعنا الهوامش، وقائمة المصادر والمراجع باللغتين العربية والإنجليزية.

المبنى الحكائي والعنوان:

تدور الحكاية حول الطفلة البدوية «در صاف» الحالمة التي تعرضت لعذابات كبيرة ومأساوية رافقتها تحولات وصراعات نفسية ووجودية، هي ابنة امرأة بدوية ورجل بدوي غريبين «لامحة» و«مجبل» اللَّذينِ عشقا بعضهما في أحداث مأزومة تحكمت فيها أنساق البداوة بتوافقاتها وتعارضاتها وإكراهاتها الاجتماعية والثقافية، وهذه الطفلة هي الأخت الصغرى لأخوين قاسيين؛ هما: «مازن» و«راشد» يقودهما خالهما «هزاع» الذي عرف بطمعه وقسوته وجشعه، فضلاً عن أنه لا يتحلى بأخلاق البداوة الأصيلة، فبعد مقتل أبيها وخالها الأكبر «سهمي» ووفاة أمها عاشت في كنف جدتها «مليحة» لتبدأ قصتها مع الحرمان والضياع والتشرد والتحولات النفسية والبيئية الكبيرة.

في يوم من الأيام حلمت «در صاف» بغصن أخضر ينمو في كفها ومن ثم شق جذوره في الرمال وبدأ ينمو وفي غمار هذا الحلم، قرر خالها «هزاع» الانتقال من البادية إلى المدينة وتحديداً قضاء الخضر على مقربة من أقاربهم بعد أنْ ابتاع كل شيء تملكه العائلة البدوية، وهناك تزوج بامرأة بـ»وسن» وهي امرأة لعوب ساهمت بتشتت العائلة وتشردها وتهميشها وإقصائها انتهت بهروب «در صاف» وجدتها «مليحة» إلى الرميثة لتعيشا فترة من الضياع والحرمان والتهميش حتى وفاة الجدة «مليحة» وبقاء الشابة وحدها تصارع الحياة والوجود في بيئة حضرية تختلف عن بيئتها البدوية حاولت كثيراً أن تنتمي إليها لكن حبها للبداوة وحياتها القاسية -على الرغم من مغادرتها لها وهي بعمر سبع سنوات- ما زال يطرق ويعصف بمخيالها، وفي خضم صراع التأقلم والانتماء بين البداوة والمدينة يأتي شخص ينقذها من حياة التشرد يدعى «فريد» كان همه بناء مجمع للأرامل والأيتام والمعوزين أراد منه أنْ يكون مدينة فاضلة له شروطه الخاصة، كان هذا الشخص يلقبونه بـ»الغصن الأخضر» لأنه يمثل حالة الأمل والإشراق والحياة الجديدة لكثير من الناس، وكانت «در صاف» واحدة من أولئك المشردين المعوزين الذين ضرستهم

الحياة بفكيها وبأنيابها لولا أنْ بعث الله ذلك الغصن الذي بدأ ينمو شيئاً فشيئاً لتحل بوارق الأمل في هذه الفتاة البدوية ويتحقق حلمها وتعيش حياتها الجديدة بعيداً عن البادية التي تجذرت في عروقها ولا تكاد أنْ تفارق جسدها النحيل. أمَّا عنوان الرواية فإنه يقوم على بنية استعارية مضمرة، فالغصن الأخضر يدل على الأمل والإشراق ونهاية المعاناة وبدأ الحياة الجديدة، كانت تحلم به قبل أنْ تبدأ التحولات في حياتها، وعندَ التعمق وتتبع أغوار النصوص السردية في الحكاية نلمح صوتاً يختفي خلف شخصية «الغصن الأخضر» يمثل صوت المؤلف نفسه، فهو يقول في غلافها الأخير: ((تضعنا الحياة على خرائطها مرغمينَ لندخل في متاهاتها تتلقفنا أيادي القدر وكأننا في رحلة البحث عن وطن، وحيث تنبت أغصاننا نعلنُ انتماءنا. وضعتُ بين يدي القرَّاء قصة مستلَّة من رحم واقعي المكتظ بالباحثين عن طوق نجاة، وقبل أنْ أمدَّ لهم يدي تمتدُّ يد الله لتخرجهم من ظلام العوز إلى نور الرضا، «در صاف» ورحلة البحث عن وطن)). (الشيخ، ٢٠٢٣م، ص١١٨)

نسق البداوة:

قبل أنْ نقف على مفهوم البداوة بمستوياته اللغوية والاصطلاحية، لا بدَّ أنْ نكشفَ عن العلاقة التفاعلية والدلالية والتعبيرية بين النسق والثقافة حتى الوصول إلى شبكة العلاقات التي تنتج النسق الثقافي ومدى ارتباطه حضوراً وغياباً بالأنساق الفرعية التي تساهم في بنائه. يدلُّ النسق على النظام والتنظيم والعطف والتتابع والتواتر(ابن منظور، ب.ت، مادة «نسقَ»، ص٤٤١٢)، أمَّا النسقية في اللغة فتدلُّ على التنظيم، والتماسك، والتسلسل، وتتابع الأفكار وانتظامها في نسيج نصيّ موحدٍ موضوعياً وعضوياً.(حمداوي، ٢٠٠٦م، ص٨)

والنسق في اليونانية القديمة يدلُّ على ((التنظيم والتركيب والمجموع، ومن ثمَّ تحيل الكلمة على النظام والكلية والتنسيق والتنظيم وربط العلاقات التفاعلية بين البنيات والعناصر والأجزاء، ومن ثمَّ فالنسق نظام بنيوي، عضوي، كلّس، وجامع))(المرجع نفسه والصحيفة)، ويرى المستشرق البريطاني «إديث كريزويل» أنه نظام: ((ينطوي على أفراد مُفتعِلينَ تتحدد علاقتهم بعواطفهم وأدوارهم التي تنبع من الرموز المشتركة والمقررة ثقافياً في إطار هذا النسق وعلى نحو يغدو فيه مفهوم النسق أوسع من مفهوم البناء الاجتماعي، ويرتكز على معايير وقيم تشكل مع الفاعلينَ الآخرينَ جزءاً من بيئة الفاعلين)).(كريزويل، ١٩٩٣م، ص٤١١) وبناء على هذه المعاني والدلالات نستنتج وجود إنساق عامة رئيسة وأخرى فرعية تتوالد منها وتتطلَّبُ الاستقلال والتراتب والتتابع على وفق وجودها وتفاعلها في

محيطها الثقافي، كما يمكن أنْ تتصف هذه الأنساق بأنها تكون مخاتلة، أو محايدة، فوقية وهامشية، مغلقة ومفتوحة، فاعلة أو منعزلة وكلُّ هذه الصفات تتحدد وتكشف وفاقاً لطبيعة محيطها الخارجي. وحتى نقف على مفهوم النسق وتحديده علينا معرفة الثقافة ومفهومها ودورها في إنتاجه وفاعليته وخموله، وممَّا لا شكَّ فيه؛ إنَّ الثقافة مفهوم شموليٌّ واسعٌ يمسُّ جوانب الحياة الإنسانية المختلفة نتيجة تشعب معانيه ودلالاته فهو يشيرُ إلى معاني الحذق والفطنة وثابت المعرفة لِما يحتاج إليه(ينظر: ابن منظور، ب.ت، مادة «ثقفَ»، ص ص٤٩٢-٤٩٢)، والثقافة مركبٌ ((يضمُّ المعرفة والاعتقاد والفن والأخلاق والقانون والأزياء، وكلَّ المكملات الأخرى والعادات التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع))(بينيت، وآخرون، ٢٠١٠م، ص٢٣٢) ويرى «طوني بينيت» المعجمي الأمريكي أنَّ الثقافة: ((طريقة معينة في الحياة سواء عند شعب، أو فترة، أو جماعة من شروطها أنْ تؤدي الملائمة بين الإنسان وبين المجتمع، وبينه وبين القيم الروحية والإنسانية)) (المرجع نفسه والصحيفة) بذلك يمكن القول أنَّ الثقافة أحد المفاهيم التي تتسم بتعقيداتها وتداخلاتها التي ترتبط بالمعارف الإنسانية، كما أنها تشمل العادات والتقاليد والطقوس، ولكي تكون منتجة فلا بدَّ للإنسان من استيعابها وتمثلها؛ لأنها جزء من كينونته وهويته التي يتمسك بها ويحملها باحترام وتقدير أمام الآخرين.

أمَّا البداوة فإنها ظاهرة أثارت اهتمام كثير من الكتَّاب والباحثين في الثقافة العربية بخاصة في عصرنا الحديث بالبحث والنقد؛ فهي جديرة بالاهتمام نتيجة تغلغل أنساقها في قيم الثقافة العربية ليمتدَّ هذا الاهتمام إلى كثير من الدارسين والكتَّاب والروائيين العرب بعامة والعراقيينَ بخاصة فاتخذوا من البداوة مادة وبيئة لبعض من نتاجاتهم المعرفية والقصصية والروائية.(ينظر: العمري، ٢٠١٧م، ص٩) والبداوة أحد الظواهر العريقة المتجذرة في مجتمعنا العربي وما تزال آثارها قائمة حتى يومنا هذا، ولعلَّ سبب استمرارها يعود إلى البيئة الصحراوية المترامية الأطراف في بلادنا العربية التي تفرض على قاطنيها الارتحال هنا وهناك نتيجة الطبيعة القاسية التي تكتنفها(ينظر: مشارقة، ١٩٨٨م، ص٧) وهناك إشارات قرآنية تدلُّ على طبيعة حياتهم وتكيفهم وتسخير كل الموارد الطبيعية لخدمتهم، قال تعالى: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ). (النحل، ٨٠)

وإذا ما أردنا أنْ نقف على معناها فإنها

تـأتي بألفـاظ كثـيرة تحمـل المعنـى نفسـه، فـ((البَـدْوُ، والبادِيَـةُ، والبَـداةُ، والبَـداوَةُ، والبِـداوةُ خِـلافُ الحَـضَرِ، والنَّسَـبُ إليـهِ بَـدَوِيٌّ نـادِرٌ، وبَـداويٌّ وبِـداويٌّ، وهـو عـلى القيـاس؛ لأنه منسـوبٌ إلى البَـداوةِ والبِداوةِ)) (ابـن منظـور، ب.ت، مـادة «بـدا»، ص٢٣٥)، والبـداوة في مفهومهـا العـام ((تعنـي المـكان ذا الفضـاء الواسـع، والمرعـى والمـاء، أو البيئـة التـي لمْ تغـير مـن أصـل وجودهـا يـد الكائـن المخلـوق؛ فهـي عـلى هيئتهـا التـي صادفهـا عليهـا سـاكنوها منـذ القِـدم. وتوارثوهـا جيـلاً بعـد جيـل دون انْ تمتـدَّ يـدٌ لتعديـل شيء فيها))(عوضـين، ١٤٠٣/١٩٨٣م، ص٧)، فهـي مـن البـدء وحتـى يومنـا هـذا عـلى مـا بـدت في أعـين أبنائهـا ((أرض مفتوحـة لا حـدودَ فيهـا تقيـد حركـة سـاكنيها، ولا حواجـز تمنـع عنهـا مـن ظواهـر الكون شـيئاً، لتسـتوي في ذلـك الحـدود والحواجـز الماديـة والمعنويـة، فمسـاكن الباديـة لا تقيـد حركتـه الحـدود الماديـة مـن منـازل منغلقـة وقـلاع محصَّنـة، كـما لا تقيـد حركتـه الحـدود المعنويـة مـن نظـم وقوانـين وحكومـات)). (المرجـع نفسـه والصحيفـة) وبذلـك فالبداوة ((نمـط حيـاة ينطبـق عـلى فئـة معينـة مـن السـكان الذيـن يتميـزون بخصائـص معينـة وسـلوك ترسـمه البيئـة المحيطـة بهـم التـي لا تسـمح بإقامـة حيـاة مسـتقرَّة في مـكان ثابـت طـوال العـام؛ فهـم مضطـرونَ لتغيـر مـكان إقامتهـم مـن حـين لآخـرَ أو مـن فصـل لآخـرَ سـعياً وراء الغـذاء والرعـي)) (السـعدي، ٢٠١٠م، ص٣٦٥) فالبـداوة ((هـي النمـط السـائد والأسـلوب الدائـم لحيـاة الإنسـان مـا قبـل التاريـخ، فقـد بـدأ الإنسـان حياتـه بدويـاً. وهـي أقـدم نمـط اجتماعـي للحيـاة عرفـه الإنسـان، فهـي أول سـعي لـه في التكيـف مـع الظـروف الطبيعيـة)). (الجميـل، ١٩٦٣م، ص١١، والعمـري، ٢٠١٧م، ص١٧) والـذي يعنينـا مـن ظاهـرة البـداوة هـو الكشـف عـن الأنسـاق الثقافيـة التـي عالجتهـا روايـة «الغصـن الأخـضر» للـروائي العراقـي «عـلاء الشـيخ»(مقابلة مـع المؤلف، الأربعـاء، ٢٠٢٤/١٢/١٨م)(*١) ومـدى تمثـلات الشـخصية البدويـة لهـا.

المبحـث الأول- تمثـلات الأنسـاق البدويـة في الروايـة:

نحـاول في هـذا المبحـث دراسـة ظاهـرة البـداوة بأنسـاقها وبقيمهـا وعاداتهـا وتقاليدهـا في روايـة «الغصـن الأخـضر» بشـكل يتكـئ عـلى بعـض معطيـات النقـد الثقـافي بصـورة أسـاس، فضـلاً عـن تنـاول الأبعـاد المختلفـة لبنيتهـا السوسـيولوجية والدينيـة والثقافيـة وعلاقتهـا ببنيـة المجتمعـات الحضريـة المسـتقرة وفاقـاً لأنسـاق البـداوة والحضـارة ومـا بينهـما مـن علاقـات تفاعليـة تتعلـق بالتأقلـم والتكيـف والانتـماء، أو العلاقـات الإقصائيـة الطـاردة جغرافيـاً ونفسـياً وثقافيـاً عـلى وفـق نسـقي الرفـض والقبـول.

أولاً- النسق القبلي:

تحمـلُ القبيلـة في معانيهـا العميقـة معـانٍ

إيجابية كونها تمثل أحد الروافد الثقافية المهمة في مجتمعنا العربي، فضلاً عن كونها محوراً مركزياً في تاريخ العرب المتجذر، الضارب في القدم؛ فهي قيمة تنشأ من حاجة الفرد إلى السكينة والاطمئنان والاجتماع بخاصة وأنَّ أبناءها يعيشون في بيئة صحراوية قاسية مقفرة، موحشة، لها ظروفها ومميزاتها الخاصة، فضلاً عن القوانين والإكراهات والأعراف والتقاليد والعادات التي تحكم نظامها الاجتماعي والثقافي بما فيه من قيم إنسانية ودينية وروحية ونفسية تتمثل في ذوبان «الأنا» بالجماعة الثقافية الحاضنة التي يصطلح عليها في علم النفس بـ«نحنُ»؛ لذا فإنَّ أفرادها يتمثلون هذه القيم والأنساق على وفق ما تقتضيه هذه الإشعاعات التي تتجسَّد في الفرد وعلاقته بالجماعة التي ينتمي إليها، ويلتزم بكلّ ما يتعلق بها من قوانين وتنظيم وإكراهات.

ممَّا لا شكَّ فيه؛ إنَّ الفكرة المركزية في نسق البداوة تقوم على الاعتراف المطلق بالقبيلة والولاء لها ولقمة الهرم فيها المتمثلة بشيخ القبيلة الذي يمثل الثقل السياسي فيها، فالسرد يكشف لنا أنَّ خيمة الشيخ «نواف» تمثل مركز الخيام جميعها؛ يقول الراوي: ((**كانتْ خيمة آل نواف مركز الخيام، تحاوطها خيام أخرى لا تتجاوز العشرة متوزعة بمسافات متفاوتة بما يقارب الخمسينَ متراً ويزيد، وجميعهم من قبيلة واحدة**))(الشيخ، ٢٠٢٣م، ص١٣) فهذه الخيمة تمثل مركز القرار والثقل في القبيلة. وقد وصف السرد الشيخ نواف بأنه: ((**كانَ رجلاً ذا هيبة ارتسمتْ في تقاسيم وجهه السماحة والوداعة، يجمع الفطنة والرزانة وحسن التكلم، ويجمع في شخصيته المتضاربة نقيضين؛ حيث جمع عصبية البداوة والحكمة فقد انتخبته الظروف ليكون الحافظ لتقاليد وأعراف البادية وقوانينها الصارمة، فأمسك الصرامة بيد والحكمة والتعقل والتفهم بيد أخرى**))(المصدر نفسه، ص٤٠) ومن ثمَّ تكشف الرواية أنَّ هذه الشخصية الثانوية تكون ساندة لشخصية بطل الرواية.

فالقبيلة ببنائها الاجتماعي العام المتماسك تحتم الحذر والروية لأي شخص يحاول أنْ يقتحم كيانها، ولا يمكن له ذلك من دون أنْ ينال ثقة أحد أفرادها، وهذا ما كشفه السرد فبعد مرض الفتاة البدوية «لامحة» التي تنتمي لبيت «آل معصوم» أحد أفراد قبيلة الشيخ «نواف» التي عشقت الغريب «مجبل» خبير التداوي الذي تلقبه قبيلته بالحكيم لخبرته بالطب البشري وطبابة المواشي، وقد عرف بوسامته وأخلاقه ومروءته ونخوته العربية الأصيلة، ما كان بالإمكان أنْ يأتي لمداواتها من دون كسب ثقة أحد أفراد قبيلتها، لذلك وبعد أنْ ساءت حالتها ذهب أخواها «هزاع» و«سهمي» يبحثان عن الغريب؛ لكنَّ النسق القبلي لا يمكن

اختراقه بسهولة حتى وإنْ وصل الشخص للموت لرصانته وكونه يشكل حصناً لا يمكن اختراقه من الغرباء؛ يقول الراوي: ((**ليسَ سهلاً أنْ يقتحمَ غريبٌ كتلة البدو تلك ما لم يحصل على تصريح من قلب القبيلة، ومَنْ يرغب باقتحامها يتحتَّمُ عليه أولاً أنْ ينال ثقة أحد أفراد القبيلة، ولكن «مجبل» كان له الحظ الأوفر فقد نالَ قلب فاتنةٍ تصبو إليها الأنظار**))(المصدر نفسه، ص١٥) يظهر أنَّ شيخ القبيلة متربعٌ في قلب نظامها الاجتماعي؛ فهو يتمتع بمكانة مهمة ودور كبير وبارز في إصدار الأوامر والتصريحات التي تتعلق بالإذن للغرباء من دخول تجمعاتهم واختراقها بخاصة ما يتعلق بأمور الضيافة، والحماية والحكمة والطب. عالجت الرواية الكثير من الأنساق القبلية التي تتعلق ببنائها الاجتماعي والثقافي؛ ومنها قضية الانتماء كونها على علاقة تلازمية مع الإنسان ويكون ذلك بتنوع العلاقات الإنسانية في مكان وزمان محدَّدين؛ فهو ((ظاهرة إنسانية قُدمى يرقى تاريخها إلى بداية تاريخ الوجود الإنساني))(اسليم، ١٩٨٨م، ص٩) والانتماء ((وجود مادي ينعكس لدى الإنسان فكراً وشعوراً وسلوكاً؛ لأنَّ الإنسان يملك تاريخاً لا يستطيع الانفلات منه، وهذا التاريخ هو الوجود المادي المحقق للانتماء. وقد يكون الانتماء فكراً وشعوراً يسبقان وجوده المادي، وذلك في فكر القادة ورجال الفكر وشعورهم وهو يتصورون أوضاعاً إنسانية متطورة يرغبون إيجادها بالإرادة الإنسانية))(المرجع نفسه، ص١٢)، هنا وفي ضوء تصورات المفهوم كشف السرد في هذه الرواية أنَّ الغريب «مجبل» بعد أنْ طبَّبَ «لامحة»، تعرضتْ القبيلة إلى وباء أصاب مواشيها التي تعدُّ جزءاً من حياتها واقتصادها فأقدم على علاجها ليكون أحد الأفراد المنتمينَ إليها؛ يقول الراوي: ((**يباشر عمله بتطبيبها فيكافأ من قبل أصحابها وتصافح أرواحهم روحه، فتعشَّقَ شيئاً فشيئاً مع أبناء القبيلة حتى صار واحداً منهم؛ بل أنه صار المفضل عندهم نظراً لدماثة خلقه وتفانيه في عمله بحب وإخلاص، ولكن هذا التوطن والاندماج لم يشبع روحه العليلة بحسرات الشوق**))(الشيخ، ٢٠٢٣م، ص٢٩) وهنا يحاول السرد أنْ يعالج عقدة الشوق بالانتماء، فقد تمَّ قبوله فرداً من قبيلة «آل نواف»؛ يقول الراوي: ((**يجهزونَ خيمته يا أختي فقد قبلوه فرداً من قبيلتنا**))(المصدر نفسه، ص٢٤) ومثلما بيَّن السرد العلاقة الإيجابية للانتماء عن طريق نسق القبول؛ فإنه يجلي نسق الرفض ظهوراً وإضماراً بخاصة إذا كان الانتماء لفرد ليس من الأصلاء في القبيلة؛ وإنما من الغرباء كون انتماؤه يشكل تهديداً لكثير منهم؛ لأنَّ مسألة انتماء الغرباء لا يبتُّ بها إلاَّ مَنْ يمثل مركز القرار الاجتماعي والسياسي والديني

وهـو شـيخ القبيلـة نفسـه، فبعـد قبـول انتـماء «مجبـل» ((**انفـرجَ فمُـه عن ابتسـامة جذلـة، وقـامَ يقبـل طـرف ثيـاب الشـيخ وأشـار الشـيخ إلى رجالـه أنْ ابنـوا لـه خيمـة بجـواري، وأثـارَ هـذا الأمـر حفيظـة بعـض مـن رجـالات القبيلـة فكتمـوا غيضهـم امتثـالاً لأمره**)).(المصـدر نفسـه، ص٢٣)

ومـن الأنسـاق القبليـة التـي عالجتهـا الروايـة نسـق «الغـرة» أو مـا نسـميه بلهجتنا أو عرفنـا العـام «الفصليـة» وكان ذلـك بعـد مقتـل «عطـوي» وهـو أحـد أفـراد قبيلـة «آل نـواف» عـرف بسـقوطه التـام فقـد كان مدمنـاً عـلى الخشـخاش ومريضـاً نفسـياً وحقـوداً وخسيسـاً ونـذلاً، وهـو في عـالم الروايـة شـخصية مسـطحة أو ورقيـة اقتـصر دورهـا عـلى تأجيـج الصراعـات النفسـية والاجتماعيـة وكان يمثـل دور المعيـق لبطـل الروايـة، فـكان اعتـداؤه عـلى «لامحـة» أول كـسر للقيـود الاجتماعيـة والأخلاقيـة في القبيلـة؛ يقـول الـراوي: ((**قطـعَ شرودهـا عطـوي وهـو يقـترب منهـا ويهـصر جسـدها بكلتـا يديـه فانتفضـت وأطلقـت صرخـات اسـتغاثة ودخلـت في عـراك ومناوشـات يدويـة معـه انتهـت بسـيول دم طفحـت مـن جبهتـه حـين ضربتـه بحجـارة، كان عطـوي أحـد أفـراد القبيلـة خطبهـا مـن قبـل ولم تقبـل، وبَّختـهُ بشـدة وتوعدتـه بأنْ تخـبر كل أفـراد الفيضـة بفعلتـه الخسيسـة تلـك، ولكنهـا تراجعـت عـن قرارهـا حـين باغتهـا بقولـه:**

-اخبريهـم وسـأخبرهم أنـا أيضـاً إنـكِ دخلتِ خيمـة مجبـل ولا تدَّعـي العفـاف والـشرف فعفافـكِ هـذا يـزول في حـضرة مجبـل أ ليـسَ كذلـك، قالهـا مسـتهزئاً.

-ردتْ بكلمـة واحـدة خسـيس))(المصدر نفسـه، ص ص٣٣-٣٤) وبعـد هـذه الحادثـة بـدأ «عطـوي» يلاحـق «لامحـة» في كل مكان وفي أحـد الأيـام كان معهـا «جليلـة» ابنـة الشـيخ «نـواف» التـي تسـمى فاتنـة الفيضة، فأسـمعهما كلامـاً خشـناً وصـار يلاحقهـما حتـى قصَّـتْ مـا حـدث لأخيهـا «منـاف» فاشـتاط غيظـاً وغـيرة فهاجـم «عطـوي» في خيمتـه ودار شـجار عنيـف بينهـما انتهـى بمقتـل «عطـوي» وطرحـه صريعـاً بخنجـر «منـاف»، فـما كان مـن أهـل الفيضـة إلاَّ أنْ نصبـوا محاكمـة لـه في خيمـة أبيـه الشـيخ «نـواف» تقـرَّرَ فيـه أخـذ «جليلـة» غـرة للعجـوز القمـيء العطـن «مرهـون» والـد القتيـل لتكـون زوجـة لـه لا يحترمهـا وهـي بمثابـة الأَمـة ذليلـة، صاغـرة، مهمشـة وإنْ كانـت ابنـة الشـيخ، وفعـلاً حـدث هـذا وسـارت الإكراهـات والقوانـين القبليـة عليهـا مـن دون كـسر لهـا.

وعالجـتْ الروايـة البنيـة الأسريـة القبليـة بخاصـة موضوعـة الخطوبـة والـزواج والأزيـاء، ونحـن نعـرف أنَّ المجتمـع البـدوي أحـد المجتمعـات البشريـة التـي تحكمهـا العـادات والتقاليـد الصارمـة جـداً بخاصَّـة وإنْ كان مَـنْ يتمثـل بعضهـا ليـس مـن أفرادهـا الأصـلاء، فبعـد انتـماء «مجبـل»

لقبيلة الشيخ «نواف» خطب «لامحة» من أهلها أمام أفراد القبيلة أو الفيضة فكان ردُّ أخيها «هزاع»: ((**واللهِ لا مانعَ عندنا، ولكنْ وجبَ أنْ نأخذ رأيَ أختنا**)) (المصدر نفسه، ص٤٢) وهنا يكشفُ السرد كسراً للأعراف والتقاليد البدوية التي تهمش غالبيتها المرأة، ولا تأخذ رأيها في أمور الخطبة والزواج، فهي مهمشة وإنْ حدث ذلك فيكون شذوذاً، أو أنَّ التصورات الذهنية للمؤلف حول بعض الأعراف الاجتماعية البدوية كانتْ غير دقيقة أو لربما خاطئة.

أمَّا مراسم الزفاف فمن المؤكد أنَّها تتباين من مكان لآخر، ومن مجتمع لآخر؛ فإنَّ في المجتمعات البدوية تتأثر بالعادات والتقاليد الاجتماعية في المجتمعات الثقافية الحاضنة لها فالمجتمعات الآسيوية تختلف عن الإفريقية، يقول الراوي: ((**كانَ منتصف نهار الحادي والعشرين من آيار مشغول بنصب خيمة عرس «مجبل» و«لامحة» لاستقبال المهنئينَ يقفُ في مقدمتها «مجبل» لاستقبالهم، وقد تزيَّن وحلق شعره وارتدى زياً عربياً جديداً حيث ارتدى دشداشة بيضاء وعباءة رمادية مذيلة حوافها بلون الذهب، واعتمر شماغاً أبيض وعقال. وفي خيمة النساء جلست لامحة» ترتدي فستاناً أبيض وعباءة بيضاء وغطَّتْ وجهها ببرقع أبيض تجلس إلى جانبها «مزنة» وهي تضع الحناء في باطن كفيها**))(المصدر نفسه، ص٤٦)(*٢)، وبعد ذلك تستمرُّ الرواية بعرض تصوراتها عن مراسم الزفاف؛ يقول الراوي: ((**خرجَ «سهمي» من الخيمة يحمل في يده قصلة من القمح أعطاها إلى شيخ القبيلة نيابة عن أهل «مجبل»، وقال: خذ هذه القصلة «لامحة بنت أسد» وأعطها إلى «مجبل ابن وجد» على سنة الله ورسوله وارتفعت عقيرة المهنئين بأداء سامري مع دبكة الدحة تقابلها زغاريد النساء. ثم زفتْ «لامحة» إلى خيمة الزوجية بعد أنْ نحروا على أقدامها الذبائح يتبعها عريسها، دلفا إلى الخيمة وبقي الناس خارجها يرقصون ثم تفرَّقوا**))(المصدر نفسه والصحيفة)(*٣) ومن ثمَّ ((**خطَّت الخيمة بقدمها اليمين، تبعها ممسكاً بيدها حتى أوصلها قلب الخيمة**))(المصدر نفسه، ص٤٦) في النص يستدي الكاتب قاعدة شرعية مستمرَّة تتمثل بتقديم القدم اليمنى تكريماً، وتقديم اليسرى في الضد من ذلك، وفي الروايات أنَّ النبي محمد -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- كان يُحبُّ التيمن ما استطاع في شأنه كله، في طهوره وترجله وتنعله وغيرها من السنن الفعلية. ومن مراسم ما بعد الزواج تقديم الهدايا وهو من العادات والتقاليد العربية الأصيلة؛ يقول الراوي: ((**كانتْ قد جاءت لامحة محملة بهدايا أمها، فكان لها نصيب من حيوانات أهلها، أشارت عليه أنْ يسعى**

لإكثارهم))(المصدر نفسه، ص٤٩) ونلحظ أنَّ الهدية ونوعيتها تقدَّمُ وفاقاً للمجتمع الذي تمارس فيها هذه الأنساق الطقسية الاجتماعية. وتعرض الرواية -أيضاً- كسر بعض الإكراهات القبلية ومنها مسألة تهميش المرأة فبعد زواج «مجبل» من «لامحة» وفي خيمته ضرب التقاليد القبلية وكسر أنساقها الاجتماعية؛ لأنه ((**أحبَّ «لامحة» وأحبَّ فكرة العائلة، فكان السند الذي تتكئ عليه، وكانت العين التي يبصر بها، وتغلَّبَ حبُّهُ على كثير من عادات القبيلة؛ إذ كان يرى حبَّهُ لها هو أقدسُ المقدسات ضارباً تقاليدها عرض الأفق، وكان أول تلك القوانين حين مدَّ يدهُ ليأكل معها فدمعت عينيها وقالت:**

-أ تريدُ أنْ أكون أختكَ؟ كيفَ تؤاخيني في الزاد؟

-يا حبيبة أنت حبيبتي وزوجتي وأختي وكيفَ لا أقاسمُكَ الزاد فأذود عنك بكل ما أملك وأحميك من الريح الهاب، ولكنك تبقين في عيني حبيبة، ويكسر هذا العشق قوانين قبيلتنا، دعيهم وقانونهم هذا يحرمونَ أنفسهم متعة الجلوس جنب حبيباتهم ومشاركتهنَّ الزاد ودعينا نحنُ نمارس طقوس عشقنا خلسة عن أعين الناظرينَ))(المصدر نفسه، ص٤٩)(*٤) وعلى الرغم من كسر بعض الأنساق القبلية، إلاَّ أنَّ الرواية حافظتْ على مسارات تلك الأنساق من دون أنْ تكسرها، فبعض المجتمعات الأبوية البطريكية الذكورية تهمش المرأة وضعها في خانة التصنيف الجنسانية، فالطفلة «در صاف» ابنة «مجبل» و«لامحة» بعد وفاة أبويها تعرض للتهميش من خالها الجشع الطماع القاسي ومن أخويها لأنَّ خالهما وأد طفولتهما فوقعا ضحية تربيته القاسية، يقول الراوي: ((**أمَّا أخويها «راشد» و«مازن» فقد وأدتْ طفولتهما، ووقعا ضحية تربية «هزاع» الذي كان يغرس في نفسهما شراسة البادية وعصبية رجالها، فقد كان حاد الطباع شرس، وقليلاً ما يبديان عطفاً لأختيهما فقد تربيا منذ الصغر على أنَّ الانثى هي إنسان من الدرجة الثانية أو أقل تصنيفاً، رغم أنهما كانا يحبانها كثيراً وخاصة «راشد» الذي كان أكثر مرونة وأقل حدة من «مازن»، ولكنه مع ذلك قليلاً ما يحتضن «درَّة» أو يعبر عن حبِّه لها**))(المصدر نفسه، ص٦٠)(*٥) يكشف السرد أنَّ الأخوين لم يشبها أبيهما «مجبل» في طباعه الذي كسر قاعدة التهميش القبلية وتصنيف الأنثى في أول ليلة مع أمهما «لامحة»، ويعود ذلك لأنهما تربيا في كنف خالهما «هزاع» الذي عرف بقسوته وجشعه وتهميشه المرأة لأنه قد تطبع على إكراهات النسق القبلي الأسري.

ومن الأنساق الثقافية المهمة في البيئة البدوية الأزياء والملابس لأنها تحمل دلالة ثقافية، كذلك هو في الخطاب نسق

ثقافي يرتبط بالمؤثرات الاجتماعية الأخرى؛ إذ أنه يبرز الكثير من الحقائق إلى جانب طمس بعضها، وقد يفعل الأمرين معاً إضمار وإظهار، كشف وإعلان، ومواراة وإستار؛ إلاَّ أنه ((يعلنُ عن اللابس عن جنسه، وبلده، وطبقته، وعن زمنه وعن وقته، مثلما ينمُّ عن ثقافته وحاله المادية والاجتماعية، وقد يستعمل للإيهام بذلك كله، ويكون حينئذ مجازاً أو كناية أو خدعة))(الغذامي، ٢٠٠٥م، ص٩٩)، وقد يحيلنا على مضمرات ثقافية متوارية خلف الخطابات الثقافية ونصوصها النسقية تتعلق بالإنسان ووضعه ومكانته وهويته.

وقد عرضت الرواية لهذا النسق في كثير من نصوصها، وهنا سوف نركز على بعضها فالرجل البدوي الغريب «مجبل» يرتدي الكوفية البيضاء المرقطة بالسواد، وعقال أسود، ودشداشة بيضاء مقسمة عند الصدر بحزام عريض يمسك خنجره الذي يرافقه دوماً، أمَّا «لامحة» كانت ترتدي ثوباً فضفاضاً بطنته بثوب آخر ستراً، وعباءة لفتها باحتراف شديد حول جسدها النحيل، وأحاطت خصرها بأطراف عباءتها ثم ربطت بعضها ببعض، في حين كانتْ أختها الصغرى «مزنة» ترتدي عباءة سوداء تضعها كتفها، تلف طرفها حول بطنها، ثم عقدتها في ظهرها وتعصبت بخرقة قماش ملونة يبرز منها اللون الأخضر، والوردي، ووضعت فوقها شيلة سوداء. ومما لا شكَّ فيه؛ إنَّ هذه الأزياء البدوية لها دلالتها الثقافية في مجتمع يتحدد بنوع من الملابس لأنها تمثل شخصيته وهويته الاجتماعية والثقافية.

ثانياً- النسق الأخلاقي:

تعدُّ الأخلاق نسقاً راسخاً في النفس الإنسانية تصدر عن أفعال يختارها الإنسان بقصدية تامة كونه قد توقف عند جمالها وقبحها مسبقاً، وهي قابلة بطبعها أنْ تتأثر وتتغير على وفق الذات التي تحملها وطبيعة الإغراءات المادية والمعنوية القادرة على التبديل والتغيير؛ وممَّا لا جدالَ فيه أنَّ الرواية تعدُّ مجالاً رحباً وواسعاً لطرح القضايا الأخلاقية بمختلف المجتمعات الثقافية كونها اللون الأدبي السردي القادر على معالجتها، والوقوف على مشكلاتها الثقافية والاجتماعية والدينية.

وقد سلَّطتْ رواية «الغصن الأخضر» الضوء على الجوانب الأخلاقية والتربوية والقيمية في المجتمع البدوي الذي يعدُّ أحد المجتمعات الحاضنة للأخلاق والمؤكدة عليها بعدها نسقاً دينياً واجتماعياً لا يمكن اختراقه فهو بمثابة التابوهات المحرَّمة عندهم، فالمرأة البدوية «لامحة» بعد أنْ تعرضتْ وهي ترعى ماشيتها لجرح عميق آلمها كثيراً إلاَّ أنَّها ترفض المساعدة من الرجل الغريب الذي أراد أنْ يمسك موضع جرحها المخضب بالدماء نتيجة وجود شظية حديدية فيها، يقول

الـراوي: ((**راحـت تقذفـه بالحجـارة، أزاح اللثـام عـن وجهـه وقـال لهـا:**
-لا تخافي
-إياك أنْ تقتربَ
-وراحـت تلتقـط مـا تطالـه مـن حجـارة، لمْ تسـتطع الوقـوف فقـد كانـت قدمهـا مدمـاة عالقـة بشـظية حديديـة.
رفع يديه ثم أشار إلى قدمها:
-دعيني أساعدُكِ
رمته بحجارة وقالت وهي تنتحب:
-لا تقتربْ))(الشـيخ، ٢٠٢٣م، ص ص٩-١٠) وهنـا يعالـج الـسرد قضيـة الأخـلاق والعـادات والتقاليـد البدويـة والحواجـز التي فرضتهـا بـين المـرأة والرجـل التـي تحوطهـا قوانـين اجتماعيـة صارمـة لا يمكـن اختراقهـا، بعدهـا ((**تبـادلا نظـرة قصـيرة فابتسـم لهـا، وبـسرتْ في وجهـه مـدَّ يـده لينهضهـا، ولكنهـا اسـتعانتْ بـالأرض ونهضـتْ بعـد أنْ أمسـكتْ قربتهـا المملـوءة بالمـاء فلقفتـه وانصرفـت تحمـل القربـة وتعـرج، فخطـى نحوهـا ووقـف قبالتهـا وهـو يقـول:**
-دعيني أوصلكِ وأحمل عنكِ القربة
لمْ تجبْـهُ واسـتمرَّت في مشـيتها، فتبعهـا وقـال:
-حسـناً ضعـي قربتـكِ واذهبـي وسأحرسـها حتـى يعـود أحـد مـن أهلـكِ ويحملها.
لمْ يثنهـا كلامـه، وأكملـت إلى مقصدهـا.)) (المصـدر نفسـه، ص١٠) هنـا يكشـف الـسرد عـن الجانـب الأخلاقـي التربـوي مـن الطرفين الـذي يحتضنـه نسـقانِ مهـمان جُبـلَ العـربيُّ عليهـما: الأول- العـادات والتقاليـد البدويـة التـي لا يمكـن للمـرأة أنْ تكسرهـا؛ لأنهـا مـن التابوهـات المحرمـة مجتمعيـاً في المجتمـع البـدوي، الثـاني- مـروءة وأخـلاق العـربي ونخوتـه التـي عـرف بهـا، ويتضـح لنـا أنَّ خضـوع الأنثـى للعـادات والتقاليـد والإكراهـات المجتمعيـة البدويـة تفـوق عـلى أنسـاق المـروءة والأخـلاق والنخـوة التـي يحملهـا الرجـل.

ومـن الجوانـب الأخلاقيـة التـي عرضتهـا الروايـة مـا فعلتـه الفتـاة البدويـة «در صـاف» التـي ارتحلـتْ إلى الرميثـة بعـد حالـة مـن الضيـاع والتـشرد والظـروف القاسـية التـي ضرسـتها بأنيابهـا فقـد بـدأتْ أخلاقهـا البدويـة الأصيلـة تتحـرك في ذاتهـا مـن جديـد بعـد أنْ طلـب منهـا مسـؤول المجمـع السـكني الـذي تقطـن فيـه أنْ تهتـم بامـرأة عجـوز عـثر عليهـا في الشـارع مـن دون سـكن أو مـأوى، يقـول الـراوي: ((**غـير أنَّ «در صـاف» وقـد كانـت عـلى مقربـة منهـا أقبلـت وأمسـكت بيـد العجـوز، وقالـت: ستسـكنُ معنـا، تسـاءلتُ في نفـسي كيـف لهـذه الشـابة أنْ تكـون بهـذا القـدر مـن الوعـي والإيثـار ومَـنْ علمهـا الرحمـة، تابعتهـا وهـي تقـود العجـوز إلى بيتهـا الجديـد مثـل مربيـة تهتـم بصغارهـا، تعـدِّل عباءتهـا وتمسـكها بيدهـا وتبتسـم في وجههـا، قلـتُ في نفـسي: يـا لَلْعجـب!**)) (المصـدر نفسـه، ص١١٢) وهنـا يبـين النـص الإيثـار والأخـلاق البدويـة المتأصلـة

والمتجذرة في نفس هذه الفتاة التي تدل على أخلاق العرب الحقيقية في بيئتهم الريفية والبدوية التي تأوي المحتاجينَ والمعوزين والمساكين.

ومثلما عالجت الرواية الأنساق الأخلاقية في بيئتين مختلفتين «البداوة» و«المدينة»، ولشخصية واحدة هي شخصية بدوية لمْ يغيرها تحول المكان ومغرياته، كذلك كشفتْ الرواية عن الجوانب الأخلاقية في البيئتين ذاتهما، الأولى- ما قام به «عطوي» أحد أفراد فيضة «آل نواف» بمحاولته الاعتداء على «لامحة» جسدياً، والتشهير بها وبشرفها وعفتها علناً أمام الملأ مخترقاً كل العادات والتقاليد والأعراف العربية البدوية الأصيلة التي تهتم بمسألة العفة والشرف وتعدها من المحرمات التي لها قوانينها الصارمة فمحاولة الطعن بالشرف في النسق القبلي البدوي تصل حد الاقتصاص أو القتل ظلماً للمرأة؛ لأنها الحلقة الأضعف في نسق القبيلة الأسري؛ فهي مهمشة دائماً ينظر لها بدونية، أو يكون العكس أنْ يتمَّ الانتقام من الطاعن بالشرف كون ما فعله يعدُّ مثلبة في القوانين البدوية، وهذا ما حدث لـ«عطوي» بعد أنْ قتله «مناف» ابن شيخ القبيلة انتقاماً لشرف «لامحة» ولشرف اخته «جليلة» بعد أنْ طعن بهما.(ينظر: المصدر نفسه، ص ص٣٣-٤٣) وفي بيئة المدينة تصور الرواية حالة التشتت والضياع التي مرَّ بها كلٌّ من الفتاة البدوية «در صاف» وجدتها «مليحة» التي عاشت في كنفها بعد وفاة والديها وتشريدهما وتهميشهما من خالها القاسي «هزاع» وزوجته الحضرية «وسنط اللعوب الخبيثة، الأفعى الرقطاء مثلما يصورهما السرد، فبعد أنْ خرجت الجدة «مليحة»» من مستشفى مدينة الرميثة بعد الارتحال إليها، لمْ يجدا سكناً ومأوىً غير حديقة عامة مهجورة قضيا فيها يومهما إلاَّ أنَّ «در صاف»: ((**خرجت لتشتري طعاماً، كانتْ ترتجفُ خوفاً تحت العباءة فتلفها على جسدها النحيف بأكمله إلاَّ بعضاً من قرص وجهها، تبعها شُبَّان يرمونها بالكلام المنمق، ويتغزلون بجمالها، انثنت إلى الأرض حملت حجارة وراحت ترميهم بها، تقافز الشُّبان وهم يضحكون**))(المصدر نفسه، ص ص١٠٠-١٠١)، ومِمَّا لا شكَّ فيه؛ إنَّ هذا الجانب اللا أخلاقي الذي عالجته الرواية حالة شاذة لا تمثل مدينة عريقة عشائرية عرفت بأخلاق أبنائها؛ أمَّا المضمرات النسقية فإنها تؤكد على احتفاظ هذه الفتاة بأخلاقها وتربيتها البدوية حتى وإنْ كانت في بيئة حاضنة جديدة؛ فهي لمْ تتخلَّ عن هذه الأعراف والتقاليد التي تحتم على المرأة بخاصة البدوية أنْ تدافع عن نفسها بأي وسيلة كانت.

ثالثاً- النسق الديني:

يشكلُ الدين مبحثاً مهماً أثار انشغالات كثير من المفكرين، والباحثين، والدارسين

قديماً وحديثاً بخاصة مسألة التفسير والتأويل وفهم عناصره والوقوف على نشأته وبداياته وأبعاده وحدوده على الرغم من تبني الرؤى الحديثة مواقف مختلفة منه، إلاَّ أنَّ الدين ظلَّ على هرم القضايا المطروحة في مجالات متنوعة نظراً لأهميته، وحساسيته، ودرجة تقبله والتعامل معه.

وإذا ما أردنا أنْ نقف على مفهومه فمن المؤكد أنه يعرف على وفق ما يؤمن به الإنسان والمشرب الذي نبع منه، ويذهب كثير من المختصين بعلم الأديان أنه ((تلك العلاقة الخاصة بين الناس وبين ما يعتقدون أنه مقدس ومتعالٍ، إنه اعتقاد في عالم علوي يوجدُ في استقلال تام عن العالم السفلي المادي))(عماد، ٢٠١٧م، ص٧٨)، وهو في الفلسفة ((كلُّ ما يتجاوز حدود التجربة الممكنة والفكر الإنساني)) (المرجع نفسه، ص٧٧) ويعدُّ الدين ((ثقافة كاملة؛ فهو يعبر عن رؤية للعالم وللطبيعة والوجود الإنساني؛ لأنه يقدم تصوراً لبناء الاجتماع الإنساني على نحو يغطي أدق تفاصيل هذا الاجتماع اقتصاداً وسياسة وأخلاقاً وأحوالاً شخصية))(عماد، ٢٠١٦م، ص١٢٧)، ويتأسس الدين على عدد من الأنظمة المهمة التي تتكون من خمسة عناصر؛ هي: الاعتقاد والشريعة والطقوس والجماعة والمؤسسة التي تنظم وتضبط صحة الممارسات الدينية وديمومتها.(ينظر: عماد، ٢٠١٧م، ص٧٩)

يرى بعض الباحثين أنَّ هذه الأنساق المختلفة تتفاعل وترتابط وتتبادل التأثير فيما بينها و((يحتل النسق الديني الأهمية الكبرى بينها؛ إذ يعد الدين جزءاً لصيقاً بحياة المجتمع، وعنصراً مهماً في تنظيمه، وعاملاً فاعلاً في ضبطه)) (الحريجي، ١٩٨٢م، ص٦٣، والعمري، ٢٠١٧م، ص٤٣) وقد رصدت رواية «الغصن الأخضر» حضور هذا النسق في المجتمع البدوي بشكل لا يمثل ظاهرة فيها نظراً لمساحته وتمثلاته السردية القليلة، منها ما صوره السرد عندما عثر «مجبل» على الخاتم بفصه الحجري المصنوع من حجر العقيق الأخضر الذي يتكئ على إطار من الذهب؛ إذ مثل العثور عليه تحدياً كبيراً لكي يتمكن من الزواج بـ«لامحة» فقد ((**راح يضحك كالمسوس وعلى غير هدي يغير اتجاهاته بين الخيمة وخارجها تائهاً لا يدري أي الخطوات يخطو، ليس ثمة خطوة أبرك من الاغتسال وصلاة ركعتين لوجه الله الكريم الذي تمنن عليه بعظيم فضله**))(الشيخ، ٢٠٢٣م، ص٣٦) فأداء صلاة الشكر أحد الأنساق الدينية المهمة التي تبين صلة الإنسان بالله تعالى، كذلك أنَّ التختم بالعقيق يشكل جانباً دينياً مهماً؛ لأنَّ بعض الناس تؤمن بأنَّ هذا النوع من الحجر يُتختَّمُ به للدعاء والتبرُّك.

ويصور السرد -أيضاً- هروب «در صاف» وجدتها «مليحة» من «هزاع» إلى مقام

الخضر-عليه السلام- الذي يعدُّ أهم المقامات الموجودة في محافظة المثنى وقضاء الخضر، يقول الراوي: ((**جلستا قرب المقام عند الشباك الفضي، وما أنْ رفع الآذان حتى نهضتا للصلاة بحثت «مليحة» عن تربتين ووقفتا لتصليان مستقبلتين القبلة حين انتصبت «درة» بقامتها الفارعة ونحافة جسمها الذي تشكلت تقاسيمه مثل أنثى ناضجة غير أنَّ روحها مثل طفلة معذبة تلوذ بالدمعة حين تخيفها الحياة بقسوتها، طفلة تبحث في الوجوه عن أهلها الذين أضاعهم القدر فلا تجد فتعاود البحث عن عباءة جدتها التي كثيراً ما حمتها من قسوة الحياة. حين فرغتْ من صلاتها اتجهتْ نحو شباك المقام وضعت جبهتها عليه فتناثر الدمع على وجنتيها وضعت فمها على إحدى فتحات الشباك وبدأت تناجيه بهمس شديد يكاد لا يسمع: لماذا يحدث لي كل ذلك؟ يا مولاي أيها العبد الصالح أسأل الله لماذا أخذ مني والديَّ وتركني وحيدة**)).(المصدر نفسه، ص ص٨٦-٨٧)(*٦)

ومن الأنساق الدينية الإشارة أو التلميح للنص القرآني المبارك كونه يمثل مرجعية ثقافية معرفية للكثير من النصوص الأدبية والنقدية والفلسفية وقد عالجت الرواية ذلك في أحد خطاباتها النصية تمثلت عندما تفحص «مجبل» بعض المواشي المريضة لدى عائلة «لامحة» واكتشف أنَّ إناث مواشيهم أكثر من ذكورها ما شكل حسداً من أبناء القبيلة على عكس الإنسان الذي يرزق بالأنثى ((**يظلُّ وجهه مسوداً وهو كظيم، حتى أنَّ الله قالها في كتابه، وحين تلد حيواناته إناثاً يستبشر، انظرْ كم هو متناقض أ ليستْ أنثى الإنسانِ ولوداً -أيضاً- وترزقه الذرية**)) (المصدر نفسه، ص٣٨)، يكشف السرد أنَّ البدوي يعيش حالة من التناقض فهو يهمشُ الأنثى بطبيعته الذكورية، لكنه لا يهمش أنثى الحيوان كونها مصدر رزقه وماله، في حين تكون المرأة مصدر راحته الأسرية ونصفه الآخر على الرغم من أنَّ السرد في نص آخر صور فرح «سهمي» عند ولادة أخته «لامحة» ليكشفَ أنَّ ليس كل المجتمعات القبلية والبدوية ضد المرأة كما يشاع؛ يقول الراوي: ((**نِعم العطاءُ حين يرزقنا الله بإناث المواشي، ولكني -أيضاً- أحبُّ النساء فحين ولدتْ أمي «لامحة» أتذكر أنني رقصتُ فرحاً، ورحتُ أطوفُ بين الخيام حتى أثرتُ نقعاً يتعالى خلفي**)).(المصدر نفسه، ص٣٩)

رابعاً- النسق الاقتصادي:

مـمَّا لا شكَّ فيه؛ إنَّ الحياة البدوية القبلية تعتمد الكثير من المصادر التي يقوم عليها نسق عيشها وحياتها واقتصادها وفي هذه الرواية سنركز على ما تناولته من تلك المصادر فـ((خشونة الصحراء وطبيعتها القاسية قد طبعت الحياة

البدوية والمجتمع البدوي بسمتها، ومن هنا تتلاشى الروابط الإنسانية وتتراجع في سبيل الحصول على المأكل والمشرب وتوفير المورد الاقتصادي، وحيث الرغبة في الحياة تغدو أقوى من كل تلك الروابط)) (العمري، ٢٠١٧م، ص٢٩) أول هذه المصادر اعتمادها رعي الأغنام مصدراً اقتصادياً مهماً من ذلك قيام «مزنة» بهذا العمل؛ إذ ((**أوكلتْ إليها مهمة رعي الأغنام وإحضار الماء إلى الخيمة ومهام أخرى تتطلب خروجها عن تخوم الخيمة**)) (الشيخ، ٢٠٢٣م، ص٢٧) ويتطلب الرعي النهوض باكراً ((**عند الثالثة والنصف فجراً استيقظتْ «لامحة» باكرة وهيَّأت نفسها للخروج للرعي، كان مكاناً خالياً من البشر، ما زال الجميع نيام**))(المصدر نفسه، ص٣٢) كذلك ((**حينما شقَّ الصبح سماء الفيضة وتسربتْ خيوط الشمس الأولى خرجت تسرح بمواشيها تجوب الفيضة يميناً ويساراً، تتنفس هواء الربيع الطري وتلتقط نسائمه الباردة**))(المصدر نفسه، ص٣٣) يكشف السرد أنَّ اهتمام البدوي برعي الماشية كونها تشكل مصدراً معيشياً واقتصادياً مهماً.

ومن المصادر الاقتصادية التي عالجتها الرواية بيع الكمأ كونه يشكل مصدراً اقتصادياً للعيش والرزق عند البدو فهم يقتاتون عليه كمصدر غذائي، ويبيعونه عند حلول موسمه، يقول الراوي: ((**اقتربَ موسم الكمأ، كم أنا مشتاقة إلى المطر ورائحة الأرض والكمأ، آه يا «جليلة» لقد وعدني «سهمي» أنْ يأخذني معه إلى السماوة حين يبتاع الكمأ، كم أنا مشتاقة ومتحمسة**))(المصدر نفسه، ٢٥)، ويصور السرد مراسم زواج «مجبل» بـ«لامحة» الذي تزامن وموسم الكمأ، لذلك كان بيعه يدرُّ ربحاً مادياً لشراء بعض مستلزمات الزواج، فقد ذهبت العروس وأخواها إلى السماوة بعدها ((**عادوا محملينَ بالبضائع والمال بعد أنْ ابتاع «سمهي» الكمأ وقبض ثمنه، لطالما كان الكمأ هو التعبير الأقرب والأصدق لرزق السماء، فهو رزق وفير لمْ يضنوا في زراعته أو إعداده إنه يأتي من تلقاء نفسه بعد فصل من تساقط الأمطار ثم يمنحهم طعاماً لذيذاً ورزقاً وفيراً. تقاسم أهل الفيضة الكمأ فلكل خيمة من خيام الفيضة حصة من الكمأ بعد أنْ خرج شبانها لالتقاطه، وهو يأتيهم برزق وفير إذ يتهيأ أهل المدينة لحلول موسمه ويدفعون لأجله مبالغ كبيرة، ويظلُّ الكمأ أكلة شهية وفريدة في ولائمهم**)). (المصدر نفسه، ص ص٤٣-٤٤)

وتعرض الرواية لبعض المهن التي يمتهنها البدوي على وفق الطبيعة البدوية القاسية ومنها الطب البيطري؛ إذ كان الغريب «مجبل» طبيباً للمواشي، وقبيلته تسميه الحكيم كونه يعالجهم هم ومواشيهم، وقد كانت الطبابة أحد المهن التي تعدُّ مصدراً اقتصادياً يكافأ عليه مَنْ يمتهنه،

وهنا يصور السرد كيف يقوم «مجبل» بالاعتناء بالحيوانات ويتفحص أجسادها وما ((**أنْ يكتشف بوادر مرض أصاب إحداهنَّ حتى تبدأ خلطاته العشبية بين إحراق وتطهير وغربلة، يصلصلُ أمشاجه ثم يهدرها بحرارة الشمس سويعات ثم يباشر عمله بتطبيبها فيكافأ من قبل أصحابها، وتصافح أرواحهم روحه**)). (المصدر نفسه، ص٢٩)

وتصف الرواية أنَّ البدوي تهمه الجوانب الاقتصادية بخاصة بما يتعلق ببناء المنازل بأبسط عناصرها، فقد كانتْ خيامهم ((**مصنوعة من وبر الإبل المنسوجة والمحمول بأعمدتها، تثبت في الأرض أوتاداً موزعة في خمسة أبعاد فرشت أرضية الخيمة بالبسط الحمراء المزخرفة والمطعمة بالأسود والأبيض وألوان أخرى على جانب الخيمة نصب عليها منقلة مع فناجينها ودلالها**))(المصدر نفسه، ص ص٣٥-٣٦) فصناعة البيوت من وبر الإبل والأعمدة المأخوذة من شجر البيداء من دون تكلفة في شرائها يشكلُ جانباً اقتصادياً مهماً، واكتفاءً ذاتياً للبدوي وهو يعتمد على ما تدرُّه الطبيعة من هبات وعطايا. كذلك يصور السرد الفتاة البدوية «در صاف» وجدتها «مليحة» بعد نفاد نقودهما وطفقا يبحثان عن مؤونة أو سكن في مدينة الرميثة، وهنا يتأجج الصراع فالبدوي بطبيعته لا يفقه شيئاً عن حياة المدينة وقد وضعه القدر في تحدي البقاء والوجود؛ فما كان من «در صاف» إلاَّ ((**أنْ تقوم بجمع النفايات وبيعها، ثم باشرتْ بذلك حيث كانت تنتظر حلول الليل لتقوم بالخروج وجمع القناني المعدنية ثم تبتاعها في نهار اليوم التالي**)).(المصدر نفسه، ص١٠٣) ويقول الراوي: ((**تخرج «درَّة» كل يوم لتجمع من القمامة ما تسنى لها جمعه من علب معدنية، ثم تبتاعها بمبلغ لا يكاد يسدُّ حاجتهُنَّ اليومية إلى أبسط أنواع الطعام**)).(المصدر نفسه، ص١٠٧)

ولمْ تنسَ الرواية معالجتها للانهيار الاقتصادي وكسادها وكيف يتعامل البدوي مع محنته الوجودية من ذلك تصويرها لانتشار وباء «اللسان الأزرق» الذي داهم مواشي قبيلة الشيخ «نواف» وأهلي الفيضة بعد أنْ كانت تعتمد لبنها ولحومها وصوفها؛ فضلاً عن بيعها في سوق الماشية وللحفاظ عليها قام حكيم القرية بعزل الإناث عن الذكور، وعزل السليمة عن المصابة بوصفه علاجاً احترازياً أولياً للحفاظ عليها، فـ((**كلُّ أنثى من هذه الحيوانات تأتيكَ بالخير**))(المصدر نفسه، ص٣٩)(*٧)، ومن التحولات الاقتصادية التي أصابت القبيلة نفاد العشب ونضوب الماء وهذا شكل عائقاً كبيراً في ممارسة حياتهم الطبيعية ما جعلهم يتخذون بدائل مصيرية تضمن عيشهم نتيجة القحط؛ إذ ((**تغير حال الناس في الفيضة فتفرقوا وتباعدت الخيام شرقاً**

وغرباً بحثاً عن الماء والعشب؛ إذ أنَّ حاجة الحيوان هي التي تحدد مصائرهم بينما تهمش حاجة الإنسان، فليس مهماً استقراره وغذائه بقدر أهمية الحصول على الماء والعشب)).(المصدر نفسه، ص٥٠)

خامساً- النسق السياسي:

تعدُّ القبيلة ببنائها العام الوحدة السياسة الأساس الكبرى في حياة البداوة، وتشكل لدى أفرادها حصناً منيعاً يحتمي فيه ويدافع عنه في الوقت ذاته، فالبدوي يبذل كلَّ ما لديه من أجل قبيلته وإعلاء شأنها بين القبائل الأخرى وكلُّ ذلك خاض لنسق فاعل يتمثل بالنسق السياسي الذي يحتلُّ أهمية وفاعلية وديناميةمهمة في المجتمع البدوي، وقد عالجتْ الرواية ذلك في بعض نصوصها السردية التي تمثلها البدوي في علاقته الداخلية والخارجية وكلُّ هذه التمثلات تدور حول مركز واحد هو شيخ القبيلة الذي يمثل قلبها النابض ومركز قراراتها السياسية والاجتماعية والدينية والمصيرية.

وقد عرضتْ الرواية لبعض الأنساق السياسية المهمة التي تتعلق بالقبيلة نفسها؛ منها: فبعد أنْ هرب الغريب «مجبل» من فيضة الشيخ «نواف» خوفاً من اكتشاف أمره لأنه قتل أحد أبناء عموته الذي طعن بشرفه وجاء إلى دخيلاً محتمياً في كنف قبيلة «آل نواف»، فما كان من أفراد القبيلة ووفاقاً لحسهم بالذود عن قبيلتهم وحمايتها من الدخلاء تتبعوا الغريب فوجود وانقضوا عليه وقيدوه وعادوا به إلى خيمة شيخهم الذي يبتُّ بأمره، وبعد أنْ استوضح قضيته وتبين أنه جاء إليهم بعد أنْ هرب من قبيلته خوفاً من القصاص؛ لأنه قتل ابن عمه المتملق لشيخ قبيلته بعد محاولته اغتصاب أخت «مجبل»، فما كان من شيخ القبيلة إلاَّ أنْ يتقبله فرداً من قبيلته ((**اسمع يا «مجبل» نحن قوم لا نردُّ الدخيل، ولو أنكَ جئتنا مستجيراً لأجرناكَ، ولكنكَ اخترتَ الهيام في البوادي ولك ذلك؛ ولكني وبشكل استثنائي أعرض عليك أنْ تقيمَ بيننا وأنْ تطببَ مواشينا**)).(المصدر نفسه، ص٢٣)

ومن القرارات السياسية المهمة التي اتخذها شيخ القبيلة إعلان النفير العام بدق «النجر» بعد انتشار الوباء بين الماشية ونفاد الماء والعشب في الفيضة، يقول الراوي: ((**أعلنَ الشيخ «نواف» نفيراً عاماً فتأهبوا بأقصى حالات التأهب للوباء الذي داهم ماشيتهم**))(المصدر نفسه، ص٢٣)(*٨) فالشيخ «نواف» يمثل مركز القرار وهو بمثابة القائد لمجموعته وكلُّ ما يتعلق بالقبيلة من قضايا مصيرية يبتُّ فيها.

ومن الأمور التي عالجتها الرواية ارتباط القضايا الاقتصادية بالسياسية؛ فبعد أنْ حلَّ القحط في فيضة القبيلة بدأت بعض العوائل بالبحث عن مصدر العيش

وكانت عائلة «لامحة» تتنقل في البيداء بحثاً عن الكلاء والماء والعشب من مكان لآخر، وصادف أنْ ذهب زوجها «مجبل» وأخوها «سهمي» للبحث عن مكان آمن ولجهلهما بالأمور السياسية الخارجية وعدم اكتراثهما لها انطلقا بسيارتهما إلى مدينة السماوة وكانت مواكب القوات الأمريكية تمرُّ أرتالاً بسياراتها ودباباتها ومدرعاتها حاملة أسلحتها القاتلة عبر الشوارع الرئيسة التي تربط بين المدن؛ وكان من الواجبات الأمنية لهذه القوات منع السيارات سواء التي تأتي من المدينة أو من البادية الجنوبية لأنها تعدُّ أيَّ هدفٍ متحركٍ بمثابة عدو لها وما أنْ اقتربت سيارة «مجبل» و«سهمي» حتى تمَّ قتلهما بدم بارد في الصحراء، وبذلك ذهبا صريعين نتيجة السياسات الخارجية المقيتة التي لمْ تستثنِ سكان المدينة أو الريف أو البادية، والأمر نفسه كان مع «هزاع» الذي أخذ يبحث عنهما؛ لكنه نجا من الموت وكان لا يقلُّ جهلاً ومعرفة من أخيه وزوج أخته في أمور الحرب والسياسة.

كذلك تناولت الرواية أحد الأمور السياسية المهمة في البادية الذي يتمثل بمتابعة المهربين والمطلوبين سياسياً للدولة كونه يمثل تهديداً لأمنها واستقرارها واقتصادها وقد وصفه السرد عن طريقة توظيف تقانة الاسترجاع للذكريات للفتاة «در صاف» إذ أنها ((**لمْ تستغرب «درة» هيئتهم ولا ملابسهم فقد سبق وأنْ شاهدتْ عساكر يمرون في طريق البادية، تتذكر ومضات حياة أبيها حين كانت ترافقه في رحلة البحث عن العشب، جاءهم عسكري ليطلب من أبيها أنْ يساعده في الإبلاغ عن الهاربينَ عبر البادية، المطلوبين سياسياً وتجار المخدرات ومهربي الأغنام والآثار**))(المصدر نفسه، ص ص٦٩-٧٠) هنا يكشف السرد أنَّ البادية كانتْ مكاناً آمناً للمطلوبين للدولة من سياسيين ومهربين وغيرهم، وتشير كثير من المصادر أنَّ أبناء البادية غالبيتهم كانوا يتعاونون مع هؤلاء المطلوبين لأمرين لا ثالث لهما: الأول- مروءتهم في إيواء المظلومين بخاصة السياسيين، والثاني- العائدات المادية التي يستدرونها من مهربي الأغنام والآثار وغيرها.

المبحث الثاني الصراع والتحولات في نسق البداوة:

أولاً- الصراع:

تشيرُ أدبيات الرواية إلى أنَّ الصراع هو التحدي الذي تواجهه الشخصية الرئيسة حتى تحقق هدفها الذي تصبو إليه، والصراع إمَّا أنْ يكون داخلياً في الذات نفسها، أو خارجياً تخوضه الذات مع الآخرين فرداً وجماعات الذي بدوره يشكلُ حاجزاً تمرُّ خلاله الشخصية بأزمات نفسية وظروف خارجية تسعى لاجتيازها، وقد حضر في صراعات مختلفة تمثلتها الشخصيات الرئيسة في الرواية وهم

«مجبل» و«لامحة» وابنتهما «در صاف»، وكان أول أحداث الرواية لقاؤهما بعد أنْ جُرِحَتْ «لامحة» فاقترب منها مبدياً مساعدته؛ لكنه توجست منه خيفة وراحت تقذفه بالحجارة، وبعد ساعتين عاد متنقلاً بي الصخور مثل لص هارب وهي ترعى قطيعها وقد لفتْ قدمها المجروحة بخرقة ووقف يراقب حركاتها وجسدها الناجز خلسة وبعد أنْ عرفتْ هوية الرجل الغريب، وهو عرف اسمها بدأت ملامح العلاقة تتطور شيئاً فشيئاً ليكون حبُّهما أول صراعاتهما النفسية والاجتماعية التي تتطلب عدم تخطي الأعراف والتقاليد البدوية.

وبعد أنْ تعرَّف على أخويها وقام بعلاجها زاد عشقه لها، وازدادتْ هياماً به؛ فقد ((**كانتْ لامحة في خيمتها تجوبها رواحاً ومجيئاً تقضم أظافرها وعداد صبرها ينفذ، ولا تجدُ لهذا الاحتراق تفسيراً**)) (المصدر نفسه، ص٢٣) يكشفُ السرد عن الصراع الداخلي الذي تعيشه الشخصية فالرواح والمجيء وقضم الأظافر جميعها حالات بيولوجية ترتبط سيكولوجياً بعضها ببعض ما يولد الشعور بالقلق، أمَّا «مجبل» فلا يقلُّ صرعاً منها؛ إذ ((**توغلَ الملل إلى مسارب روحه وهو يتفقدُ فيئه الوارف حين غيبت سحنتها عن أبصاره، وتلاطمت غمائم خلقه فارتفعت عقيرته وهو يخاطب قرص الشمس الآيل للمغيب في حضن الغدير**))(المصدر نفسه، ص٢٩) ويصل الصراع ذروته ولكي يظفر «مجبل» بحبيبته «لامحة» كان عليه أنْ يجتاز التحدي ويعثر على الخاتم الحجري، وهذا النسق أحد العادات والتقاليد القبلية بين العاشقين بأنْ يتحدَّى أحدهما الآخر لبيان مدى حبه وعشقه لِمنْ يهوى، وتمثل التحدي بأنْ قامت «لامحة» بإخفاء خاتمها في البيداء وعلى «مجبل» البحث عنه والعثور عليه ومن ثم إحضاره مهراً لها، وأنْ يضعها بيديها لتكون زوجاً له وقد قبل التحدي وبرم شاربه دِلالة على ذكائه وفطنته، فما كان من «لامحة» إلاَّ أنْ تختار خيمته لتزيد مهمته صعوبة فحفرت في أحد جوانبها حفرت ورمتْ بالخاتم فيها.

وبعد هذا الصراع وحصول «مجبل» على الخاتم يدخل ثانية في صراع اجتماعي قبلي مع «عطوي» أحد أفراد القبيلة الذين عرفوا بانحطاط أخلاقهم، وكان ممَّنْ يتعاطى المخدرات، وليس له التزامات عشائرية، فبعد أنْ وافق الشيخ «نواف» على تزويج الغريب «مجبل» من أحد فتيات القبيلة نظراً لأخلاقه وحكمته وطيبته ومساهمته في تطبيب ماشية القبيلة طلب منه أنْ يختار فتاة من القبيلة فوقع اختياره على «لامحة» متحججاً بأنَّ أخويها «سهمي» و«هزاع» هما الأقرب له من بين أبنائها؛ لكنَّ الصراع يشتدُّ ويزداد احتدامه عندما تدخل «عطوي» الفاسد في الموضوع، وكاد

أنْ يطـع بشرفهـا لـولا خوفـه مـن أخويهـا وأبنـاء عمومتهـا؛ لكنـه بـدا منفعـلاً مخاطبـاً شـيخ قبيلتـه ((**لقـد خطبتهـا مـن قبـلُ يـا شـيخ ورفضتـم، والآن تهدونهـا للغريـب، فهـلْ للغريـب فضـل عـلى ابـن ديرتكـم؟**)) (المصـدر نفسـه، ص٤٢) لينتهـي الـصراع بمقتـل «عطـوي» مـن «منـاف» ابـن شـيخ القبيلـة اقتصاصـاً منـه لأنـه يطعـن بـشرف نسـاء الفيضـة وكان منهـنَّ «لامحـة» وأختـه «جليلـة».

وبعـد أحـداث مختلفـة ومتنوعـة، قصـيرة وطويلـة، حزينـة وأليمـة تنتهـي بوفـاة كلٍّ مـن «مجبـل» و«سـهمي» قتـلاً مـن قبـل القـوات الأمريكيـة في صحـراء السـماوة، ووفـاة «لامحـة» كمـداً عـلى زوجهـا وأخيهـا، ولمْ يبـق سـوى الجـدة «مليحـة» وابنهـا «هـزاع» القاسي الجشـع، و«راشـد» و«مازن» و«در صـاف» الأبنـاء الثلاثـة، فالأخَـوانِ غـادرا القبيلـة للعمـل في العاصمـة بغـداد وانقطعـت أخبارهـما حتـى نهايـة الروايـة وهـو نـوع مـن الإبعـاد لبعـض الشـخصيات يوظفـه الـسرد حتـى تـزداد حبكتـه وتشـدُّ عقدتـه وتضطـرم صراعاتـه، لتعيـش بطلـة الروايـة «در صـاف» وهـي في عمـر الثامنـة أولى صراعاتهـا بـأنْ تخـرج مـن الباديـة نحـو المدينـة لتتعـرض لانكسـارات متعـددة؛ إذ ((**كانـتْ رحلـة «در صـاف» هـذه كرحلـة أليـس في بـلاد العجائـب، عـالم آخـر خرجـت إليـه مـن صومعـة الباديـة، عـالم جديـد كليـاً، عـالم مـليء بالحواجـز والجـدران، فـلا تـكاد تخطـو نظـرة مـن الاصطـدام بجـدار قريـب عـلى عكـس البيـداء التـي كانـت مفتوحـة الأفـق، شاسـعة ترمـي أنظـارك فيهـا دون أنْ تصطـدم أو تنكـسر. كانـت نظـرة الانكسـار باديـة عـلى وجـه «درَّة» كانـت تـرى في البيـداء بيتـاً كبـيراً أو وطنـاً يضـمُّ رفـات والديهـا لـذا فـإنَّ لعبهـا يؤنـس وحشـتهما ويسـكن روحهـما، كان انكسـار نظراتهـا ليـس كـسراً واحـداً بـل كسـور مضاعفـة، فكـسر بسـبب القحـط والجفـاف الـذي ألمَّ بفيضتهـم، وكـسر بسـبب رحيـل أبيهـا وخالهـا، وكـسر بسـبب رحيـل أمهـا، وكـسر بسـبب رحيـل أخويهـا، وكـسر بسـبب رحيلهـم عـن الباديـة**)) (المصـدر نفسـه، ص٧٠)(*٩) وهنـا يكشـف الـسرد عـن عـدد مـن التحـولات والأزمـات والصراعـات والأنسـاق النفسـية التـي مـرَّت بالشـخصية مـا خلَّـف لهـا الألم والمعانـاة والتشـتت والضيـاع. وتدخـل «در صـاف» صراعـاً آخـر بعـد انتقالهـا وجدتهـا «مليحـة» إلى مدينـة الخـضر عنـد أحـد أقاربهـم تمثـل بالانتـماء والتأقلـم للبيئـة الحضريـة الجديـدة، والتوافـق مـع الأقـران بخاصـة وأنهـا تجهـل القـراءة والكتابـة، لكـنَّ أقـسى الصراعـات التـي مـرَّت بهـا عندمـا تـزوج خالهـا «هـزاع» مـن الفتـاة اللعـوب القميئـة الخبيثـة «وسـن» التـي بـدأت بتهميـش «در صـاف» وجدتهـا وقيامهـا بحياكـة المؤامـرات ضدهـا والطعـن بشرفهـا لأنهـا رفضـت الـزواج مـن أخيهـا «تحسـين» سيء الصيـت

والسمعة، ما جعلَ «هزاع» يطردُ ابنة اخته «در صاف» وأمه «مليحة» من داره بعد دفعهما وضربهما وزجهما خارج المنزل لتعيشان حالة من التشرد والضياع ألقت بهما خارج مدينة الخضر ليحطا الرحال في مدينة الرميثة هرباً من سطوة وسلطة وقساوة خالها «هزاع» وزوجه «وسن» لتبدأ الصراعات والتحولات تطرق حياتهما؛ تنتهي بوفاة الجدة وبقاء الفتاة البدوية وحيدة في هذه المدينة لولا وجود «فريد» أو «الغصن الأخضر» الذي طالما حلمت به وهو ينمو بين كفيها مشرقاً حاملاً معه بوارق الأمل والحياة السعيدة.

ثانياً – التحولات:

يعدُّ التحول من الأنساق الثقافية المهمة التي تطال الإنسان والأشياء والزمان والمكان له مرجعياته الثقافية والفكرية والأيديولوجية التي ترتبط وتتعالق بخيوط مضمرة متوارية تساهم في إنتاجه وبنائه وتجليه وتكوينه، فضلاً عن علاقته بأنساق فرعية تشكل النسق العام. ويدل التحول على معاني الانقلاب والتغيير والخروج من النمطية المحددة والإنكار والحيلة والتلون والعدول والفساد بوعي أو من دون وعي، والحاجز بين الحقيقة والافتراض، والابتعاد والتنقل، والإقبال والتحرك والميل إلى جهة معينة على حساب جهة أخرى(ينظر: ابن منظور، ب.ت.، مادة «حول»، ص ص١٠٥٤-١٠٦١) والتحول في الفلسفة يدلُّ على ((تغيير يلحق الاشخاص أو الأشياء، وهو قسمان: تحول في الجوهر وهو حدوث صورة جوهرية جديدة تعقب الصورة الجوهرية القديمة، وتحول في الأعراض تغير في الكم أو في الكيف أو الفعل، مثل انتقال الشخص من موضع إلى آخر)) (صليبا، ١٩٨٢م، ج١/ص٢٥٩) ويدلُّ في علم النفس على ((التغيير الذي يؤدي إلى نشوء عمليات فكرية مختلفة الطبائع)) (المرجع نفسه والجزء والصحيفة) ويطلق في علم الاجتماع على التغيير الذي يؤدي إلى نشوء أحوال اجتماعية جديدة.(ينظر: المرجع نفسه والجزء والصحيفة)

رصدَ السردُ التحولات الكثيرة التي طالتْ شخوص الرواية وحياتهم البدوية، ويكاد يكون نسق التحول حاضراً وبمساحة سردية كبيرة تستدعي بحثاً كامِلاً في الوقوف على تمثلاتها وشخصياتها وظروفها وأسبابها، كان أول التحولات التي شهدتها الرواية انتماء الغريب «مجبل» إلى قبيلة الشيخ «نواف» بعد معرفة قصة هروبه من قبيلته وإكرامه بالعمل معهم والانتماء إليهم وتزويجه إحدى فتياتهم. والتحول الثاني أصاب القبيلة وتمثل بنفاد العشب ونضوب الماء ما هدد حياة أبنائها وجعلهم يتفرقون في البيداء بحثاً عن الماء والكلاء ومصادر عيشهم.

ويعدُّ مقتل «مجبل» و«سهمي» على يد الأمريكان في صحراء السماوة أهم التحولات التي تناولتها الرواية لأنه المنبع

الرئيس لتحولات أخرى أصابت عائلتهم، فقد تحمل «هزاع» مسؤولية عائلته ومواشيه وأخته الأرملة وثلاثة أطفال، والجميع استسلم لهذه الفاجعة سوى «لامحة» التي ((**بقيت عالقة في البرزخ بين الموت والحياة؛ إذ لم يسمح الموت بولوجها أبوابه، ولم تستقبلها الحياة بأحضانها، كانت تسوء حالتها يوماً بعد يوم يذوي عودها ويخفت رونقها حتى بهت وجهها وتلون بألوان رمادية، كانت توزع حليل الدواب على أطفالها الثلاثة وتكتفي بما يتبقى منه، وتصوم حين لا يترك القعر بقية، التصقت بها «در صاف» كظلها ترافقها في نومها ويقظتها، بكائها وسكونها فكانت شبيهتها في الشكل ورفيقتها في الهم**))(الشيخ، ٢٠٢٣م، ص ص٥٧-٥٨) وقد انتهى ذلك بموت «لامحة» حزناً وكمداً على زوجها وأخيها، فيأتي التحول من جديد على ابنتهم «در صاف» وجدتها «مليحة» بأنْ انتقلا لمكان جديد غير بيئتهم البدوية.

ومن التحولات المهمة التي عرضتها الرواية كانت تلك التي تقع بين نسقين مختلفين متباينين؛ هما: الحضارة أو المدنية والبداوة بعدهما قيماً ومبادئ يجتمع الناس حولها أكثر منها بيئة جغرافية(ينظر: البياتي، ٢٠٢٣م، ص١٠) فالإنسان البدوي ((إنه في بيئته تلك يدور في محور حاجاته البدوية هي التي تلفت نظره، وتجذب انتباهه فيُقبلُ عليها واصفاً ويعيشُ معها متفاعِلاً حتى خُيِّلَ إلينا أنه جعل منها إنساناً يشاركه الحياة ويقاسمه أهوالها ومتاعبها))(عوضين، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٨٠) فكان تحول «هزاع» من البادية إلى مدينة الخضر تحولاً بيئياً جغرافياً يتطلبُ التأقلم والتكيف من العائلة كلها هو وأمه «مليحة. وابنة أخته «در صاف» التي ((**بقيت لساعات طويلة تتقلب في فراشها تفكر في تلك الليلة المبنية للمجهول؛ إذ أنها لمْ تغادر البيداء منذ ولادتها فهي لا تعرف شكل المدن والقرى ولمْ ترَ بيتاً من قبل إلاَّ في الرسوم التي كانتْ ترسمها «لامحة» برمال الصحراء**))(الشيخ، ٢٠٢٣م، ص٦٧) وقد سبب لها الانتقال إلى بيئة المدينة انكساراً نفسياً كبيراً؛ لأنَّ المدينة مثلت لها عالماً آخر ((**خرجتْ إليه من صومعة البادية، عالماً جديداً كلياً، عالماً مليئاً بالحواجز والجدران فلا تكاد تخلو نظرة من الاصطدام بجدار قريب على عكس البيداء التي كانت مفتوحة الأفق، شاسعة ترمي أنظارك فيها دون أنْ تصطدم أو تنكسر**))(المصدر نفسه، ص٧٤) يكشفُ السرد حالة الانكسار النفسي والقلق الذي قد يسببها التحول الطارئ على الإنسان بخاصة التأقلم والتكيف مع البيئة الجديدة التي تحتضنه، وفعلاً ((**تعاقبتْ الأيام والليالي، وتحسنتْ فيها أوضاع «درة» وبدأتْ تتأقلم مع المكان الجديد**))(المصدر نفسه، ص٧٥) وما كان

عليها إلاَّ أنْ تعي الاختلاف بين البادية والمدينة في الجوهر والمظهر ((**إنَّ الأمر مختلف تماماً إذ أنك في البادية غير ملزم بالاهتمام بالجانب الشكلي للمظهر والملابس والأثاث وغيرها، فالاهتمام يتمركز على الحد الأدنى من الحاجة للبقاء بأقل قدر ممكن من المأكل والملبس والمسكن على عكس المدن والقرى التي تهتمُّ بتنوع الأغذية وترافة المظهر وبشكل تدريجي تعلمت «درَّة» هذا**))(المصدر نفسه، ص٧٦) ويعدُّ هروب «در صاف» وجدتها «مليحة» من مدينة الخضر إلى مدينة الرميثة تحولاً كبيراً في حياتهما فقد كانتا أمام حالة من الضياع والتشرد والعوز والتحدي والمواجهة في ظل ظروف نفسية ومادية ومرضية قاتلة انتهت بموت الجدة وبقاء الفتاة البدوية «در صاف» تعاني ألماً وحزناً كبيرين لوحدها وكأنَّها تحمل جبلاً من الهموم إلاَّ أنَّ الله منَّ عليها بـ»فريد» أو الغصن الأخضر الذي جعلها تعيش حياة سعيدة وآمنة بعد أنْ انتشلها من التشرد والضياع، فكان بارقة الأمل والإشراق التي حلِمتْ بنموها على كفها وهي في السابعة من عمرها قبل الهجرة للمدينة.

الخاتمة:

بعد أنْ طرق الباحث عالم رواية «الغصن الأخضر» التي اتخذتْ من نسق البداوة موضوعاً أساساً لها وثيمة كبرى تأسست عليها الأحداث والصراعات والحوارات التي تمثلتها الشخصيات فيها، كانت البداوة بقيمها وعاداتها وتقاليدها وتحولاتها تسيطر على المجتمع العربي قديماً وما زالت حتى وقتنا هذا، ومما لا شكَّ فيها أنَّ الدراسة أفادت كثيراً من النقد الثقافي في تحديد أنساقها الظاهرة واستجلاء المضمر منها مثلما تصورتها الرواية أو ما كشفت عنه التصورات الذهنية للمؤلف وعلى وفق هذه المعطيات توصلت الدراسة إلى جملة من القضايا التي عالجتها الرواية أو التي تمَّ استنتاجها؛ وهي:

- تعد البداوة نسقاً مغلقاً، محدداً لا يمكن اختراقه بسهولة اجتماعياً وفكرياً وثقافياً؛ فالعادات والتقاليد والأعرف متجذرة فيه لا يمكن اقتلاعها أو إبدالها؛ لأنه لصيقة بحياة البدوية الذي أعلن ذوبانه وامتزاجه فيها منذ زمن ضارب بالقدم.
- إنَّ النظام البدوي القبلي الأسري السياسي والاجتماعي والديني والثقافي مغلق على نفسه، ولا يعترف بأية سلطة خارجية؛ فمركز القرار فيها يتمثل بشيخ القبيلة وعلى أفرادها الطوفان حوله معلنينَ ولاءهم وانتماءهم له، ومن الضرورات المهمة أنَّ مفرزات العقلية البدوية العربية تأسست وتكونتْ على نظام كهذا لا يمكن عصيانه مطلقاً.
- عالجتْ الرواية بعض الأنساق

الأخلاقيــة والاقتصاديــة والدينيــة كونهــا ترتبــط بنســق البــداوة العــام فهــي أنســاق فرعيــة تتآلــف وتتصــل بــه، تتفاعــل فيــما بينهــا وتســاهم في بنائــه وتكوينــه والحفــاظ عليــه ومحاربــة الأنســاق الدخيلــة المخاتلــة التــي تحــاول هدمــه أو كــسره.

• يعــدُّ الــصراع بمختلــف أشــكاله ظاهــرة متجــذرة في العقليــة البدويــة ســواء كان في الــذات الإنســانية نفســها أو مــع غيرها أو مــع مظاهــر وجودهــا واقتلاعهــا، وقــد رصــدت الروايــة بعــض التحــولات المهمــة التــي أججتهــا صراعــات مختلفــة كان أبرزهــا البــداوة مــع الحضــارة أو المدينــة الــذي كان مــن نتاجاتــه الكثــير مــن الــسلبيات أهــما التــشرد والضيــاع والتهميــش.

• إنَّ الشــخصيات التــي تمثلــت أنســاق البــداوة توزعــت بــين الرئيســة والثانويــة والمســطحة وكلٌّ منهــا كان لــه دوره ووظيفتــه في التمثيــل والأحــداث والصراعــات والتحــولات والحــوارات وقــد اتصــف بعضهــا بالحكمــة والفطنــة والرزانــة، وبعضهــا بالاســتعلاء والفوقيــة، وأخــرى كانــت شــخصيات هلاميــة ورقيــة أضفــت عــلى بعــض الأحــداث تكثيفــاً ودلالــة جماليــة وتعبيريــة.

الإشارات المرجعية:

(*١) هــو عــلاء محمــد الشــيخ فليــح الظالمي، المعــروف أدبيــاً ومهنيــاً باســم «علاء الشــيخ»، ولــد عــام ١٩٨٣م في محافظــة المثنــى بمدينــة الرميثــة التاريخيــة العريقــة التــي عرفــتْ بقادتهــا وكتابهــا وأدبائهــا وشــعرائها وفنانيهــا ومثقفيهــا في فــترات مختلفــة، ولا غرابــة أنْ يكــون «الشــيخ» أحــد مبدعيهــا فهــي إلى جانــب ذلــك مدينــة الإبــداع والمعرفــة، حصل المؤلــف عــلى شــهادة في العــلاج الطبيعــي في بلــده العــراق مــن العاصمــة بغــداد، وعــلى شــهادة في الإعــلام والمــسرح، ويعمــل موظفــاً حكوميــاً منــذ عــام ٢٠٠٤م. وفي العــام نفســه عمــل عــلى تنميــة الجوانــب الإنســانية مــن دون انتــماءات حزبيــة أو سياســية أو جهويــة، كان يعمــل بمعيــة الأخيــار والشرفــاء مــن أبنــاء مدينتــه ومحافظتــه في الداخــل والخــارج، وأشرف عــلى إنشــاء مجمــع الباقــر الســكني للأيتــام وقــد أفــاد مــن وســائل التواصــل الاجتماعــي والثقــافي لغــرض الإعــلام والإعــلان حــن حــالات العــوز والفقــر المنتشرتــين في المحافظــة ومحاولــة انتشــالهم مــن واقعهــم المريــر. أُســتضيفَ «الشــيخ» متحدثــاً في «تيدكــس» كبغــداد عــام ٢٠٢٠م بعــد اختيــاره ضمــن الشــخصيات البــارزة التــي قدمــت عمــلاً تطوعيــاً خدمــة للنــاس، وقــد تــمَّ تكريمــه مــن عــشرات المؤسســات الإنســانية ومنظــمات المجتمــع المــدني. تميــز بأســلوبه الشــفيف في التقاطــه تفاصيــل الواقــع ومزجــه بمخيالــه الــثر وقــد أفــاد

من توظيف النص القرآني المبارك في كثير من خطاباته السردية بصورة غير مباشرة ليزيد المعنى جمالاً ودلالة ويصبح أكثر تكثيفاً وتأثيراً. وخلال مسيرته كتب الكثير من المقالات الأدبية والإرشادية والتوعوية في موقعه فيس بوك وفي كثير من مواقع التواصل الاجتماعي والثقافي والمجلات الإلكترونية في الشبكة العنكبوتية، وكان باكورة أعماله كتابه «ابتسامتك حلمي قلب بقلب أروع من يد بيد: وشهور مع الشبح القاتل كورونا» وهو من إصدار دار أمل الجديدة بدمشق عام ٢٠٢١م والكتاب مدونات يومية عاشها الكاتب بتفاصيلها لتكون مادة ثقافية تؤرخ لفعله الكتابي، أمَّا الثاني فكان روايته «الغصن الأخضر» وهي من إصدار دار السر ببغداد عام ٢٠٢٣م التي تحكي قصة مأساوية فيها الألم والمعاناة والانكشاف حول الأمل والإشراق ضمن مسارات واقعية تخييلية، أمَّا نتاجه الثالث فكان كتابه «سور الورد: حروف بحبر الروح» من إصدار دار السرد -أيضاً- والمؤلَّفُ مجموعة من النصوص المقالية الجميلة الهادفة التي تزينها الأشعار والأقوال المأثورة والحكم، وحالياً في طور كتابة روايته الثانية التي وظفَ فيها العجائبية والغرائبية مثلما ذكر لي.

(*٢) الكوفية أو الغترة أو الشماغ أو الحطّة أو المشدة أو القضاضة أو الجمدانة هي لباس للرأس يتكون من قطعة قماشية تصنع بالعادة من القطن أو كتان ومزخرفة بألوان عديدة أشهرها اللون الأحمر والأبيض والأسود والأبيض، مربعة الشكل وتثنى غالبا بشكل مثلث وتوضع على الرأس وأحيانا على الكتف.

(*٣) الصواب «مجبل بن وجد» تحذف «ألف» ابن عندما تقع بين علمين، نقول: عروسها لأنَّ من الصفات التي تطلق على المؤنث والمذكر. أمَّا الدحيّة أو الدحة كما يطلق عليها أهل شبه الجزيرة العربية هي رقصة بدوية تُمارس في الأردن ومنطقة النقب من فلسطين وشمال المملكة العربية السعودية وبعض دول الخليج وبوادي سوريا والعراق وحوران وشبه جزيرة سيناء. كانت تمارس الدحية قديما قبل الحروب لإثارة الحماسة بين أفراد القبيلة، وعند نهاية المعارك قديما يصفون بها المعركة وما دار بها من بطولات وأفعال أما الآن فهي تمارس في مناسبات الأعراس والأعياد وغيرها من الاحتفالات، وتجمع بين فن الشعر والرقص والأهازيج.

(*٤) نقول: زوجي لا زوجتي، و»دمعتْ عيناها» وليس» عينيها» لأنها فاعل مرفوع بالألف لأنه مثنى.

(*٥) الصواب: «أمَّا أخواها»، و»في نفسيهما»، و»على الرغم من»، و»بخاصة».

(*٦) في النص بعض الأخطاء النحوية والطباعية؛ منها: «عن تربتان» وتم تصويبها «تربتين» لأنها مثنى تجرُّ بالياء، و»لتصليان مستقبلتانِ» والصواب

«مستقبلتين» لأنها حال منصوب علامة نصبه الياء لأنه مثنى، و»إحدى فتحات الشباب» والصواب «الشباك.

(*٧) اللسان الأزرق: بحسب المنظمة العالمية لصحة الحيوان هو مرض فيروسي غير معدٍ يصيب المجترات المنزلية والبرية، الأغنام في المقام الأول، والأبقار والماعز والجاموس والظباء والغزلان والأيائل والجمال، وينتقل عن طريق الحشرات بخاصة البراغيش القارضة.

(*٨) الصواب في النص «نفيراً عاماً». النجر دق الخشب بقوة لأمر طارئ ومهم من قبل رئيس القبيلة أو شيخها؛ إذ يتفاخر العرب بدق النجر؛ إي ضربه بقوة حتى يصدر صوتاً يسمعه الضيوف والجيران، ويعدُّ منادياً لحضور القهوة، وبمجرد أنْ يسمع الجيران أو أفراد القبيلة صوت النجر يحضرون عند مَنْ يدق نجره؛ لأنه يدعوهم إلى ذلك. وحتى الضيوف إذا حلّوا فإنهم يذهبون إلى البيت الذي يسمعون فيه دق النجر لأنه من علامات الكرم.

(*٩) في النص: «بيت كبير أو وطن بضم» وقد تمَّ تصويبها نحوياً وطباعياً.

المصادر والمراجع:

أولاً- القرآن الكريم

ثانياً- المصادر والمراجع:

أ-المصادر:

- ابن منظور(ب.ت)، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، طبعة جديدة محققة ومشكولة شكلاً كاملاً ومذيلة بفهارس مفصَّلة، دار المعارف، القاهرة.
- الشيخ، علاء(٢٠٢٣م)، الغصن الأخضر، رواية، ط١، دار السرد للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، العراق.

ب- الكتب العربية والمترجمة:

- اسليم، فاروق أحمد(١٩٨٨م)، الانتماء في الشعر الجاهلي: دراسة، ب.ط، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا.
- البياتي، أحمد جليل(٢٠٢٣م)، الدولة والبداوة: دراسة في طروحات د.علي الوردي، ط١، دار ومكتبة المرهج ودار ألواح للنشر والتوزيع، بغداد، العراق.
- بينيت، طوني وآخرون(٢٠١٠م)، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
- الجميل، مكي(١٩٦٣م)، البداوة والبدو في البلاد العربية، ب.ط، الشركة الثلاثية، عمَّان، الأردن.
- الحريجي، عبد الله(١٩٨٢م)، علم الاجتماع الديني: سلسلة دراسات في المجتمع العربي السعودي، ط١، دار رامتان، جدة.
- حمداوي، جميل(٢٠٠٦م)، نحو

نظريـة أدبيـة ونقديـة جديـدة «نظريـة الأنسـاق المتعـددة»، ط١، مكتبـة المثقـف العـربي.

• صليبـا، جميـل(١٩٨٢م)، المعجـم الفلسـفي بالألفـاظ العربيـة والإنكليزيـة واللاتينية، دار الكتـاب اللبنـاني، بـيروت، لبنـان.

• عماد، عبد الغني:

أ-(٢٠١٦م)، سوسـيولوجيا الثقافـة: المفاهيـم والإشـكاليات مـن الحداثـة إلى العولمـة، ط٣، مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة.

ب-(٢٠١٧م)، سوسـيولوجيا الهويـة: جدليـات الوعـي والتفـكك وإعـادة البنـاء، ط١، مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة، بـيروت، لبنـان.

• العمـري، منصـور وهيـب(٢٠١٧م)، النقـد الثقـافي في الروايـة: نسـق البـداوة في الروايـة الأردنيـة، ب. ط، إصـدارات المفـرق مدينـة الثقافـة الأردنيـة، وزارة الثقافـة، عـمَّان، الأردن.

• عوضـين، إبراهيـم(١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، الأدب العـربي بـين البادية والحـاضرة، ب. ط، كليـة اللغـة العربيـة بالمنصـورة، مـصر.

• الغذامـي، عبـد اللـه(٢٠٠٥م)، الثقافـة التلفزيونيـة: سـقوط النخبـة وبـروز الشـعبي، ط١، المركـز الثقـافي العـربي، الـدار البيضـاء، المغـرب.

• كريزويـل، إديـث(١٩٩٣م)، آفـاق العـصر: عـصر البنيويـة، تـر: جابـر عصفـور، ط١، دار سـعاد الصبـاح، الكويـت.

• مشـارقة، محمـد زهـير(١٩٨٨م)، الحيـاة الاجتماعيـة عنـد البـدو في الوطـن العـربي، ط١، دار طـلاس للدراسـات والنـشر، دمشـق، سـوريا.

ثالثاً- المجلات:

• تجربـة توطـين البـدو الرحـل، إسـماعيل السـعدي، مجلـة الباحـث الاجتماعـي، ع١٠، جامعـة قسـنطينة، الجزائـر، ٢٠١٠م.

Sources and References:

First - The Holy Quran

Second - Sources and References:

A- Sources:

• Al-Sheikh, Alaa (2023 AD), Al-Ghusn al-Akhdar, a novel, 1st ed., Dar al-Sard for Printing, Publishing and Distribution, Baghdad, Iraq.

• Ibn Manzur (n.d.), Lisan al-Arab, ed. Abdullah Ali al-Kabir and others, a new edition, verified and fully vocalized and appended with detailed indexes, Dar al-Maaref, Cairo.

B- Arabic and translated books:

• Al-Bayati, Ahmed Jalil (2023 AD), The Sta t e and Bedouinism: A Study of the Pro p ositions of Dr. Ali al-Wardi, 1st ed., Dar and Library of al-Marhaj and Dar al- L awh for Publishing and Distribution, Bag h dad, Iraq.

• Al-Ghadami, Abdullah (2005), Television Culture: The Fall of the Elite and the Emergence of the Popular, 1st ed., Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco.

• Al-Hareji, Abdullah (1982), Religious Sociology: A Series of Studies in Saudi Arabian Society, 1st ed., Dar Ramatan, Jeddah.

• Al-Jamil, Makki (1963), Bedouinism and Bedouins in the Arab Countries, n.d., The Tripartite Company, Amman, Jordan.

• Al-Omari, Mansour Wahib (2017), Cultural Criticism in the Novel: The Bedouin System in the Jordanian Novel, 1st ed., Mafra q Publications, Jordanian City of Culture, Ministry of Culture, Amman, Jordan.

• A s lim, Farouk Ahmed (1988 AD), Be-

longing in Pre-Islamic Poetry: A Study, n.d., published by the Arab Writers Union, Damascus, Syria.

• Awadin, Ibrahim (1403 AH/1983 AD), Arabic Literature between the Desert and the City, 1st ed., Faculty of Arabic Language, Mansoura, Egypt.

• Bennett, Tony et al. (2010), New Terminological Keys: Dictionary of Cultural and Social Terms, trans. Saeed Al-Ghanimi, 1st ed., Center for Arab Unity Studies, Arab Organization for Translation, Beirut.

• Creswell, Edith (1993), Horizons of the Age: The Age of Structuralism, trans. Jaber Asfour, 1st ed., Dar Suad Al-Sabah, Kuwait.

• Hamdawi, Jamil (2006), Towards a New Literary and Critical Theory "Theory of Multiple Systems", 1st ed., Library of the Arab Intellectual.

• Imad, Abdul Ghani:

A-(2016), Sociology of Culture: Concepts and Problems from Modernity to Globalization, 3rd ed., Center for Arab Unity Studies.

B-(2017), Sociology of Identity: Dialectics of Consciousness, Disintegration and Reconstruction, 1st ed., Center for Arab Unity Studies, Beirut, Lebanon.

• Masharqa, Muhammad Zuhair (1988), Social Life of Bedouins in the Arab World, 1st ed., Dar Talas for Studies and Publishing, Damascus, Syria.

• Saliba, Jamil (1982), Philosophical Dictionary in Arabic, English and Latin Words, Dar Al-Kitab Al-Lubnani, Beirut, Lebanon.

Thirdly - Magazines:

• The Experience of Settling Nomadic Bedouins, Ismail Al-Saadi, Social Researcher Magazine, Issue 10, University of Constantine, Algeria, 2010.